الفصل الرابع
الحياة الفكرية في مصر في عصر الدولة الإخشيدية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
الحياة الفكرية في مصر في عصر الدولة الإخشيدية

تُعتَبر الدولة الإخْشيدية (٣٢٣ - ٣٥٨هـ) هي المحاولة الاستقلاليَّة الثانية الناجحة في تاريخ مصر الإسلاميَّة، وقد سميت هذه الدولة بهذا الاسم نسبةً إلى مُؤسِّسها أبي بكر محمد بن طغج الإخْشيد. وقد انصبَّت دراستي على أبرز الجوانب الحضاريَّة في مصر في عهد تلك الدولة، فاختصَّت دراستي ببيان "الحياة الفكرية في مصر في عصر الدولة الإخْشيدية (٣٢٣ - ٣٥٨هـ)".

وقد اخترت هذا الموضوع نظرًا لأهميَّته؛ حيث وصلت الحركة العلميَّة والأدبيَّة أوج تطوُّرها وتقدُّمها في مصر في عصر تلك الدولة، باعتبارها - بعد الدولة الطولونية - الفترة التي وُضِعَ فيها أساس استقلال مصر عن الخلافة العباسيَّة، وباعتبارها دليلاً من الأدلَّة التي تُدلِّل على استمرار الحياة الفكريَّة في طريق تقدُّمها رغم ما حدَث للدولة العباسيَّة من تفرُّق وتشتُّت وانقِسام، فقد حرص حكَّام الدولة المستقلَّة على نشر العلم، والتشجيع عليه، وتحلية بلاطهم بأهله.

وقد قسَّمت موضوع البحث إلى تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة وملاحق.

وقد تناوَلت في التمهيد الحديث عن الدولة الإخْشيديَّة: نشأتها، مُؤسِّسها، أهم الأحداث السياسيَّة التي مرَّت بها إلى أنْ سقطت، وخصصت المبحث الأول لـ"عوامل ازدهار الحياة الفكرية في تلك الدولة"، وأشرت إلى انقسام الدولة العباسيَّة، وتشجيع أمراء تلك الدولة

للعلم وأهله، وكذلك أشرت إلى مراكز النشاط الفكري وتعدُّده، وبيَّنت كيف أثَّر كلُّ ذلك في ازدهار الحياة الفكريَّة في مصر في عصر تلك الدولة، ثم جعلت المبحث الثاني للحديث عن "العلوم النقلية"، التي تتمثَّل في: الحديث، والتفسير، والقراءات، والفقه، والتصوف، وعلم الكلام، وجعلت المبحث الثالث "للعلوم اللسانية العربيَّة"، التي تتمثَّل في الأدب بفرعَيْه: الشِّعر والنثر، وكذلك اللغة والنحو، ثم خصصت المبحث الرابع والأخير للحديث عن "العلوم العقلية" التي تمثَّلت في الطب والهندسة والفلك والفلسفة، بالإضافة إلى الحديث عن علم التاريخ، وأهم مُؤرِّخي تلك الفترة، وكيف أسهموا في هذا العلم، وقد حرصت في كلِّ هذه المباحث على توضيح مَدَى ازدِهار تلك العلوم جميعها، وبيان سبب ازدِهارها.

وتضمَّنت ملاحق البحث بعضَ الرسائل النثريَّة الأدبيَّة التي كُتِبت في ذلك العصر، وكانت خيرَ دليل على تقدُّم فنِّ النثر فيه.

وفي الخاتمة عرضت لأهمِّ وأبرز النتائج العلميَّة التي توصَّلت إليها من خلال بحثي هذا.

وقد اعتمدت في بحثي على مجموعةٍ من المصادر، بعضها يستحقُّ أن أخصَّه ببعض الإشارة في تلك المقدمة على النحو التالي:

١ - لقد اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على كتابي: "ولاة مصر"، و"قضاة مصر"؛ لمحمد بن يوسف بن حفص بن يوسف الكندي (٢٨٣هـ/٣٥٠هـ)، وقد أفدت من كتاب "الولاة" في حديثي عن الإخْشيد نفسه، فالكتاب

مصدرٌ تاريخي عظيمٌ يضمُّ تاريخَ مصر منذ فتَحَها العرب حتى وليها أبو القاسم "أنوجور" ابن الإخْشيد، وتحدَّث الكندي في كتاب "قضاة مصر" عمَّن ولي القضاءَ في مصر من سنة ٢٣هـ إلى سنة ٢٤٦، وقد أكمَلَ أحمد بن عبدالرحمن بن برد هذا الكتاب إلى سنة ٣٣٦هـ، وقد أفدت من تلك التكملة عند حديثي عن الفقه.

٢ - ومن أهمِّ المصادر التي اعتَمدتُ عليها أيضًا كتاب "المغرب في حُلَى المغرب - الجزء الأول من القسم الخاص بمصر"، والكتاب له فضلٌ كبير في نقل بعض الكتب التاريخيَّة التي اندثرت، ومن بينها كتاب "سيرة الإخْشيد"؛ لابن زولاق، فقد نقله لنا ابن سعيد المؤرخ المغربي في كتابه "المغرب في حُلَى المغرب"؛ لابن زولاق موجود في جزءٍ كبير من السفر الرابع من كتاب المغرب، سماه ابن سعيد "كتاب العيون الدعج في حلى دولة بني طغج"، ونقَل فيه فضلاً عن سيرة الإخْشيد لابن زولاق أخبارًا عن الإخْشيدية من تاريخ "الكامل"؛ لابن الأثير، ومن "تاريخ مصر"؛ للقرطي، وقد أفدت من هذا الكتاب في كلِّ مباحث البحث، فكان مصدرًا رئيسًا بالنسبة لي.

٣ - أمَّا "كتاب سيبويه المصري" فقد جمع فيه ابن زولاق نوادر زميلٍ له في الدراسة وهو سيبويه المصري، الذي كان له نوادر ومواقف طريفة مع الأمراء والعظماء، فالكتاب يكشف بطريقٍ غير مباشر عن كثيرٍ من النواحي العلميَّة والأدبيَّة في العصر الإخْشيدي، وقد أفدت منه كثيرًا في الحديث عن عوامل ازدهار الحياة الفكريَّة، وكذلك عند حديثي عن الحياة الدينيَّة والأدبيَّة في ذلك العصر.

٤ - وكذلك أفدت من كتاب "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"؛ لتقي الدين المقريزي المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ، فقد نقَل فيه أخبارًا كثيرة عن الدولة الإخْشيدية عن كتاب "الولاة"؛ للكندي، وغيره من الكتب المهمَّة.

٥ - أمَّا كتاب "النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة"؛ لأبي المحاسن ابن تغري بردي، فهو يشمل تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي إلى سنة ٨٥٧هـ، ورغم أنَّه لا يُعَدُّ أصيلاً إلا في كتابته عن عصر المماليك، وأنَّ ما كتبه عن العصور السابقة نقلَه عمَّن سبقوه، أقول: إنَّني مع كلِّ هذا أفدت منه كثيرًا.

٦ - وكذلك رجعت إلى كتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة"؛ لجلال الدين السيوطي المتوفَّى سنة ٩١١هـ، فأفدت منه كثيرًا في الكلام عن الفُقَهاء والشعراء والعلماء والأدباء في العصر الإخْشيدي.

وإلى جانب المصادر القديمة فقد اعتمدت على بعض المراجع الحديثة التي أسهَمتْ في بعض جوانب هذه الدراسة، ومن أبرز هذه المراجع:

١ - كتاب "مصر في عصر الإخْشيديين"؛ تأليف الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، وقد أفدت منه عند حديثي عن الإخْشيد وخُلَفائه، وعن الأحداث السياسيَّة، كذلك أفدت من الفصل الذي جعلته للحديث عن الفُقَهاء والعلماء والأدباء.

٢ - كتاب "الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح حتى نهاية الدولة الإخْشيدية"؛ للدكتورة صفى علي محمد عند حديثي عن

شتَّى العلوم التي ظهَرتْ في هذه الدولة.

وبعدُ:

فإني أرجو الله أنْ يُوفِّقني في تقديم صورة واضحة لما كانت عليه "الحياة الفكرية في مصر في عصر الدولة الإخْشيدية"، فإنْ يكن التوفيق حليفي فهذا ما أبغيه، وهو من عند الله.

ظلَّت مصر منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ حتى سنة ٢٥٤هـ مجرَّد ولاية تابعة تبعيَّة كاملة للخلافة الإسلاميَّة[١]، ثم شهدت من (٢٥٤ - ٣٥٨هـ) محاولتين ناجحتين للاستقلال عن الخلافة العباسيَّة؛ قامت إحداهما في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري على يد الوالي التركي أحمد بن طولون الذي أسس الدولة الطولونيَّة (٢٥٤ - ٢٩٢هـ)، وبعد سُقوطها عادَتْ مصر ولايةً تابعةً للخلافة العباسيَّة، وتَعرَّضَتْ لتهديداتٍ من جانب الفاطميين في بلاد المغرب سنة ٢٩٧هـ، وظلَّت الأمور مضطربةً إلى أنْ جاء الوالي التركي محمد بن طغج[٢] بن جف الإخْشيدي، وقام بالمحاولة الثانية للاستقلال عن الخلافة، فأسَّس الدولة الإخْشيديَّة (٣٢٣ - ٣٥٨هـ)[٣].

---

(١) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظلِّ الدولتين الطولونية والإخشيدية، ص٢١، مكتبة الآداب، بالقاهرة، ط١، (٢٠٠٠م).

(٢) تذكُر بعض المراجع القديمة أنَّ طغج معناها: عبدالرحمن، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، ص١٤٩، مطبعة جامعة فؤاد الأول (١٩٥٣).

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٥٥، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٩)، انظر: د. أحمد كامل محمد صالح، مصر الإسلامية منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأيوبية، ص٦٩، دار الثقافة العربية بالقاهرة، (٢٠٠٥م).

تُنسَب الدولة الإخْشيديَّة إلى مُؤسِّسها محمد بن طغج بن جف الإخْشيد، والإخْشيد هو لقبٌ منَحَه الخليفة العباسي الراضي لمحمد بن طغج سنة ٣٢٦هـ، وكان محمد بن طغج قد كتَب إلى الراضي يسأله أنْ يُلقَّب بالإخْشيد، وقال في كتابه: "وقد كنَّى أمير المؤمنين جماعة، ولقَّبهم، فليبشرني بما سألت"[١]، فاستفسر الراضي عن معنى الإخْشيد، فقيل له: إنَّ تفسيره عبد دعي "ملك الملوك"، فقال الراضي: لا تبخَلْ عليه بهذا، اكتُبوا له بذلك[٢]، وفي ذلك يقول الكندي: "وورد الكتاب بالزيادة في اسم الأمير محمد بن طغج بلقب الإخْشيد، ودُعِي له بذلك على المنبر في شهر رمضان سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائة"[٣].

وكان جف جدُّ الإخْشيد قد التحَقَ بخدمة الخليفة العباسي المعتصِم، وظلَّ في خِدمة العباسيين إلى أنْ توفى في بغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م[٤].

---

(١) وقيل إن لفظ "الإخشيد" معناه في لغة إقليم فرغانة "ملك الملوك"، وإنه كان لقلب ملوكهم، كما كان قيصر لقلب ملوك الروم، وكسرى لقب ملوك العجم، وفرعون لقب ملوك مصر، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مرجع سابق، ص٥٦.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٣.

(٣) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٦، تحقيق الدكتور: حسين نصار، سلسلة الذخائر رقم ٦٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المقريزي، الكتاب المقفى الكبير، ص١٣٢، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، انظر: د. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٠، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية (١٩٨٧).

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٤٩، وانظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٥٧، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٢٥، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، (١٩٩٦م، ود. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٨٨، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨١، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ط١، (٢٠٠٥م).

أمَّا طغج والد الإخْشيد، فقد التحَقَ بخِدمة أحمد بن طولون، وأبدَى كفاءةً عالية جعلَتْه يثقُ فيه، ويولِّيه بعض المناصب المهمَّة في دولته، وعندما تُوفِّي ابن طولون وتولَّى ابنه خمارويه عين طغج واليًا على طبريَّة ودمشق، ويُروى أنَّه كان مع خمارويه في قصره ليلة قتْله، وأنَّه سارَع بالقبض على القتَلَة، وأمر بذبحهم[1].

وعندما أرسل الخليفة العباسي المكتفي بالله محمد بن سليمان ليَقضِي على الطولونيين انضمَّ إليه طغج، وشارَكَه في القضاء عليهم، ثم عاد محمد بن سليمان إلى بغداد، وفي صُحبته طغج بن جف الذي انتقل - ومعه ولداه: محمد وعبيدالله - إلى خِدمة البلاط العباسي[2]، ولكنَّه لم ينعم بالعيشة هناك، فقد كاد له الوزير "العباس بن الحسن" عند الخليفة بأنَّه ما زال على إخلاصه للطولونيين[3]، حتى أمر الخليفة بحبسه ومعه ولداه، فظلُّوا في السجن إلى أنْ تُوفِّي طغج سنة ٢٩٤هـ، وأطلق سراح ولديه[4].

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٤٩، وانظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الدولة الإخشيدية، ص٥٨، د. علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٨٨، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨١، د. أحمد كامل محمد صالح، مصر الإسلامية منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص١٠٥، أ. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥١٤، مطبوعات الشعبي، (د. ت).

(٢) د. علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٨٩، وانظر: أ. أحمد حسين، مرجع سابق، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥١٤.

(٣) روي في سبب كره الوزير العباس بن الحسن لطغج أنَّ هذا الوزير كان يريد من طغج أنْ يترجل له إذا مرَّ عليه بموكبه، فلم يفعل طغج، فكاد له الوزير، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥١.

(٤) ابن سعيد، مصدر سابق، نفس الصفحة، وانظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦٠.

أمَّا محمد بن طغج الإخْشيدي، فقد خرج من بغداد إلى الشام، والتحَقَ بخدمة أحمد بن بسطام والي خَراج الشام، وعندما انتقل إلى مصر، وتقلَّد ولاية خراجها، صحب معه الإخْشيد إلى أنْ تُوفِّي ابن بسطام عام ٢٩٧هـ، وخلفه ابنه علي بن أحمد بن بسطام على خراج مصر، فظلَّ الإخْشيد في خدمته إلى أن عُزِل عليٌّ بن أحمد عام ٣٠٠هـ[١].

اتَّصل محمد بن طغج بخدمة الوالي التركي "تكين الخزري"، وأظهر اهتِمامًا في تلك الخدمة، واشتَرَك في مقاومة وصدِّ الحملة الفاطميَّة الأولى على مصر سنة ٣٠٢هـ[٢]، وأبلى فيها بلاءً حسنًا؛ فضمَّه تكين إلى صُحبته، وقرَّبه إليه، ولم تقتصر خدمة الإخْشيد على تكين، وإنما دفَعَه طموحُه إلى التقرُّب من الشخصيَّات البارزة القويَّة، والعمل على نيل ثقتها، فخدم مؤنس الخادم أثناء وجوده في مصر لمواجهة الفاطميين[٣]، وخدم أسرة الماذرائيين، وخدم كذلك محمد بن جعفر القرطي عامل الخراج في مصر، وعندما تعرَّض القرطي لمحاولة قتل من

---

(١) د. سيدة إسماعيل كشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦١، وانظر د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٨٨.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٢، وانظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦١، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٨٩، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٣، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١٠٦، أ. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥١٤، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٢٦.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦٢، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١٠٦، ١٠٧.

جانب الماذرائيين[١]، حفظه ابن طغج، وحماه، وسهَّل له سبل الخروج من مصر إلى بغداد فلم ينسَ القرطي له هذا الجميل[٢].

ثم وقعت وحشة بين تكين وبين محمد بن طغج جعلت ابن طغج يعمل على الهروب من مصر؛ فخرج منها هاربًا، وتولَّى الرملة بالشام، ثم سعى ليتولَّى أمر دمشق بدلاً من الرملة، فتولاها سنة ٣١٩هـ[٣]، وكان هذا بمساعدة محمد بن جعفر القرطي[٤].

وبذَل الإخْشيد قُصارى جهده في الحِفاظ على دمشق، فعندما صدر قَرارٌ بعزله وتعيين بشرى غلام مؤنس الخادم قاتَلَه الإخْشيد وأسَرَه[٥]، فقد روى ابن سعيد ذلك قائلاً: "ثم صرف بشرى الخادم غلام مؤنس، فسار فلمَّا قرب من دمشق، راسله الإخْشيد، ثم اصطلحا واجتمعا، ثم اختار بشري القتال والتقيا، فهزم بشري، وجيء به أسيرًا إلى الإخْشيد، فأقام أيامًا، ثم أصبح ميتًا..."[٦].

وكان ابن طغج يطمَعُ في ولاية مصر، ولكنَّه كان يعلم أنَّ أطماعه لن تتحقَّق في حياة تكين، فعندما تُوفِّي تكين سنة ٣٢١هـ أخذ

---

(١) الماذرائيون: أسرةٌ فارسية الأصل، تنسب إلى ماذرايا أو مادرايا، وهي قرية من أعمال البصرة، وقيل: من أعمال واسط، ولكنَّ هذه الأسرة لم تَصِلْ إلى الثروة والسلطان، إلا بسبب نُزُوح كثير من أفرادها إلى مصر، وكانوا في زمن الطولونيين والإخشيديين يعتبرون الخراج حقًّا وراثيًّا في أسرتهم، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مرجع سابق، ص٣٧ - ٦٦، د. حمدي عبدالمنعم، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن سعيد، مصدر سابق، ص١٥٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦٣.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٣، انظر د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٣.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦٤.

(٥) أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١٠٧.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٣.

الإخْشيد يتَودَّد للخليفة القاهر من أجل أنْ يُولِّيه على مصر، وبالفعل استصدر الخليفة قرارًا بتوليته عليها سنة ٣٢١هـ[١]، ولكنَّ توليته هذه لم تَدُمْ طويلاً، فكان الدعاء له على منابرها نحو اثنين وثلاثين يومًا[٢]، وبعدها أصدر الخليفة القاهر قَرارًا جديدًا بتعيين أحمد بن كيغلغ عليها بدلاً من الإخْشيد[٣].

تعرَّضت مصر في هذه الفترة للعديد من الفتن والاضطرابات الداخليَّة؛ ممَّا جعل الخليفة العباسي الراضي يُرسِل الوزير الفضل بن جعفر لتفقُّد أحوال مصر، ولكنَّ الفضل اشترط عليه أنْ يمنحه تفويضًا يُعطِيه الحقَّ في إصلاح الأمور كما يرى، وقال له: "الشاهد يرى ما لا يرى الغائب"، فلمَّا علم الإخْشيد بهذا التفويض تقرَّب من الفضل، وزوَّج الإخْشيد ابنته للفضل[٤]، فأصدر الفضل قَرارًا بتعيين الإخْشيد واليًا على مصر مستندًا إلى التفويض الذي أعطاه له الخليفة[٥]، وجاء كتابٌ من

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٦، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص١٧٦، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٦٩، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ الإسلامية، ص٨٣، ٨٤.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٧، انظر د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٧٠.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٧، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص١٧٦، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٧٠، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ الإسلامية، ص٨٤.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٧، انظر د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٧٠، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٤.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٧٠.

الخليفة بذلك، وفي ذلك يقول الكندي: "ثم وليها محمد بن طغج الثانية من قِبَلِ الراضي بالله على صلاتها وخراجها..."[1].

كانت السُّلطة في مصر لأسرة المذرائيين، وكان والي مصر مجرَّد ألعوبة في أيديهم؛ ولذلك فقد كتب الإخْشيد إلى محمد بن الماذرائي عميد تلك الأسرة في مصر يُعلِمه بقَرار الخليفة، ويطلُب منه السَّماح له بدُخول مصر، فرفض وأقرَّ ابن كيغلغ، فعلم الإخْشيد أنَّ القوَّة هي السبيل الوحيد أمامَه، فأخذ يستعدُّ لذلك[2].

واستَطاع ابن طغج أنْ يعدَّ العُدَّة الكاملة، وانضمَّ إليه رجالٌ من الشام ومن الجزيرة والعراق والثغور، وأرسل أسطولاً قويًّا نحو مصر، نجَح في الاستيلاء على تنيس، وتقدَّم نحو الفسطاط، ثم جاء ابن طغج إلى مصر في جيشٍ بري قوي، ودخَلَها بالقوَّة، واستسلم أحمد بن كيغلغ، واعتذر عن موقفه بحجَّة أنَّ الجنود غلبَتْه على أمره، واختفى محمد بن الماذرائي، وأظهر الحسن ابنه الخضوع لابن طغج، وبذلك خلصت مصر لابن طغج عام ٣٢٣هـ[3].

---

(١) الكندي، ولاة مصر: ص٣٠٤، وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص١٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٣، ص٢٥١، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، (د.ت).

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٧، وانظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٤، د. محمد أحمد زيور، العلاقات بن الشام ومصر في العهد الطولوني والإخشيدي، ص٢٨٠، دار حسان، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٧، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥١، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٧٢، ٧٣، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٤، ٨٥، د. سيدة إسماعيل كاشف بالاشتراك مع د. جمال الدين سرور، د. سعيد عبدالفتاح =

تطلَّع ابن رائق إلى وضع يده على دمشق التي كانت تحت يد الإخْشيد؛ زاعمًا أنَّ الخليفة قلَّدَه إياها، وسارَع ابن رائق إلى الخروج إلى الشام، فخرج إليه الإخْشيد على رأس جيشٍ كبير، فالتقى بابن رائق عند العريش، ودارَتْ بينهما عدَّة معارك، انهزم الإخْشيد في البداية، ثم تغلَّب على ابن رائق بعد ذلك، وهزَمَه هزيمة كبيرة جعلَتْه ينسَحِب إلى دمشق، وانتهَتْ هذه المعارك بعَقْدِ الصُّلح بينهما، وكان من مظاهره أنْ زوَّج الإخْشيد ابنته من مزاحم بن محمد وابن رائق[1]، وبعد عامين من هذا الصلح قتَل بنو حمدان ابن رائق، فعاد نفوذ الإخْشيد على الشام كله[2].

وفي سنة ٣٢٩هـ يقضي الخليفة الراضي نَحْبَهُ، وتتمُّ البيعة لأخيه المتَّقي[3]، الذي أرسل كتابه يقرُّ فيه بولاية الإخْشيد على مصر[4]، ثم أخَذ ابن طغج البيعة لابنه أبي القاسم "أنوجور" على جميع المصريين

=عاشور، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ص٢١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، (١٩٩٣م)، د. مدحت محمد عبدالنعيم، تاريخ الدولة العباسية، ج٢، ص١٢١، مكتبة الرشد بالقاهرة، د.ت، د. صبحي عبدالمنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح حتى عهد الأيوبيين، ص٧٠، العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة، (د.ت).

(١) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٦، ٣٠٧، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٨، وابن الأثير، الكامل، مج٧، ص١٤٩، ١٥٠، والمقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ت: خليل منصور، ج٢، ص١٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١، ص١٣٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، د. على حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩١.

(٣) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٨، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩١.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٤، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٧، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩١.

والقوَّاد والجند، وكانت هذه خطوةً نحو الاستقلال، وقَبِلَ الخليفة المتَّقي ذلك[1].

وكذلك حاوَل ابن طغج نفس المحاولة التي قام بها ابن طولون من قبلُ، وهي نقلُ الخلافة العباسيَّة إلى مصر لتكون تحت حمايته، وكانت محاولة ابن طغج سنة ٣٣٢هـ، حينما استبدَّ الأمراء الأتراك بالخليفة العباسي المتَّقي، وتقاعَس الحمدانيُّون عن مساعدته، وكان لقاء الخليفة بابن طغج في الرقة في شمال الفرات، وقد ترجَّل الإخْشيد عن بعد، وهو بسيفه وجعبته على سبيل الخدمة، وقبَّل الأرض مرارًا، وقبَّل يد الخليفة، وعرَض عليه أنْ يصحبه إلى مصر حيث يكون تحت حمايته، ولكنَّ الخليفة عزَّ عليه آخِرَ الأمر تركُ عاصمته ومقرِّ أسرته ورفض العرض، وعاد الخليفة إلى بغداد[2].

ويبدو أنَّ الخليفة سُرَّ بإخلاص الإخْشيد، فقال له: "قد ولَّيتك أعمالك ثلاثين سنة، فاستَخلِف لك أنوجور"[3]، وهكذا حصل الإخْشيد على تقليدٍ جديدٍ من الخليفة بولاية مصر، وحق توريث إمارتها لأبنائه من

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩١، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٤، د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٦.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩١، وانظر: ابن الأثير، الكامل، مج٧، ص١٨٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٤، ٢٥٥، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٧، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٠، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٢، ٩٣، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٨، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١١١.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩٢، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٦، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٢٦.

بَعدِه، وإنْ كان هذا الحق قد حُدِّدَ بفترة ثلاثين سنة[1]، وترى الدكتورة سيدة كاشف في سبب رفض الخليفة عرض ابن طغج: "أنَّ الخليفة كان قد فَقَدَ ثقته في القوَّاد والزُّعَماء، وأصبح لا ينتظر أنْ يكرمه الإخْشيد طويلاً، ففضَّل ألا يبعد عن حاضرة مُلكِه، وأنْ يعمل على الصلح مع توزون أمير الأمراء"[2].

وفي هذه الأثناء خلَع توزون المتَّقي، وبايَع المستكفى بالله لتولِّي الخلافة، وعندما تولَّى المستكفى أقرَّ الإخْشيد على ولاية مصر والشام، فقام الإخْشيد بالدعوة له على المنابر وفي أنحاء ولايته[3].

كان بنو حمدان أمراء الموصل قد بدؤوا يرنون بأبصارهم إلى امتلاك الشام؛ فأرسل ناصر الدولة الحمداني خاله سيف الدولة الحمداني إلى الشام لامتلاكها، وبالفعل استطاع أنْ يستولي على حلب وقنسرين وحمص وإنطاكية، وأقام الدعوة للمستكفي الخليفة وأخيه ناصر الدولة ثم لنفسه، فكتب الإخْشيد إلى المستكفي شاكيًا، فلم يفعلْ شيئًا، وقال له: إنَّ الشام لِمَنْ يستطيع أن يأخذها بحدِّ سيفه، فوقع الصدام بين الطرفين، فكان النصر في البداية لسيف الدولة الذي

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٦، انظر: د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٢٦، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١١١.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٦.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩٢، انظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٥، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٨٨، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٩.

استطاع دخول الشام، فسار الإخْشيد على رأس جيشٍ استَطاع أنْ يخرج سيف الدولة منها ثم من حمص، وعند قنسرين دارت بينهما معركة كبيرة، ولكنها لم تكن حاسمة، فبدأت مفاوضات الصلح بينهما، ومال الإخْشيد إلى التسامُح، وتَمَّ الاتفاق على أنْ يكون لسيف الدولة حلب وأنطاكيا وحمص، وأنْ يكون باقي الشام بما فيها دمشق للإخْشيد، وتدعيمًا لهذا الصلح زوَّج الإخْشيد فاطمةَ ابنة أخيه عبيدالله لسيف الدولة[1]، وقد رضي الإخْشيد بالصلح ليجعل من الحمدانيين قوَّة بينه وبين البيزنطيين، ولكنَّ طمع سيف الدولة جعَلَه يستولى على بعض البلدان التابعة لإخْشيد، فخرج له الإخْشيد على رأس جيشٍ، وكذلك خرج عمُّه أبو المظفر على رأس جيشٍ آخَر، وكان من نتيجة ذلك أنِ انهزم الحمدانيُّون، ودخل الإخْشيد حلب - حاضرتهم - وبذلك

وفي هذه الأثناء خلع المستكفى استحوذ الإخْشيد على الشام مرَّة أخرى[2].وبُويع المطيع في سنة ٣٣٤هـ الذي أمَّر الإخْشيد على مصر والشام، غير أنَّ الإخْشيد قد داهمه المرض وهو في دمشق، وتوفي سنة

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، مج٢٥، ص٢٤، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٩، ٣١٠، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٥، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٤٩، ٣٥٤، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٣، حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٨٩، ٩٢، د. مدحت محمد عبدالنعيم، تاريخ الدولة العباسية، ج٢، ص١١٣، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١١٣، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظل الدولتين الطولونية والإخشيدية، ص١٦، ١٧، د. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٢.

٣٣٤هـ، فنقل ودفن في بيت المقدس بعد أنْ حكم مصر والشام ما يزيد على إحدى عشرة سنة[١].

كان محمد بن طغج الإخْشيدي قد عهد بالحكم إلى ابنه أبي القاسم أنوجور، على أنْ يتولى كافور الوصاية عليه، وعندما تُوفِّي الإخْشيد في ٢٢ من ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ، تولَّى أنوجور الحكم، وكان في الخامسة عشر من عمره، وأقرَّ الخليفة العباسي توليته ووصاية كافور عليه، وكان كافور يطلق له أربعمائة ألف دينار كلَّ عام، ويتصرَّف هو في الباقي[٢].

وكان كافور مملوكًا بسيطًا، اشتراه محمد بن طغج الإخْشيدي، ونال ثقته، ثم ولاه الإخْشيد قيادةَ جيشٍ لقتال سيف الدولة الحمداني، ثم

---

(١) الكندي، ولاة مصر، ص٣١٠، انظر: ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ص١٩٦، وابن الأثير، الكامل، مج٧، ص٢١١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٦، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٩٣، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٢٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧)، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩٧ - ١٩٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٩١، وابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٦، ١٧٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢١٣، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، (١٩٧٧)، د. سيد كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٢٥، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٥، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٩٢، ٩٣، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١١٣، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظل الدولتين الطولونية والإخشيدية، ص١٧، د. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٥، انظر: فريق البحوث والدراسات الإسلامية، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج١، ص٣٥٣، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

عهد إليه بتربية ولديه: أبي القاسم أنوجور وأبي الحسن علي، وكان كافور وقت وفاة الإخْشيد في الشام، فأسرع بالعودة إلى مصر[1].

تولَّى كافور الوصاية على ابن الإخْشيد "أنوجور"، وكان صاحب السلطة والحاكم الحقيقي لمصر، واتَّخذ كافور لقب "الأستاذ"؛ فقد كان أستاذًا لولدي الإخْشيد، وذكر اسمه في الخطبة، واكتسب محبَّة القوَّاد والجند وعامَّة المصريين، وشبَّ أنوجور فوجد السلطة كلها في يد كافور، فبدأ العداء بين الأستاذ كافور وبين تلميذه أنوجور، وانقَسَم الجند إلى فريقين: إخْشيدية، وكافورية، وبدأ أنوجور يعمل على استرداد سُلطته المسلوبة، فأراد الخروج إلى الشام ليعدَّ جيشًا يعود به إلى مصر ليقضي به على كافور، ولكنَّ أم أنوجور تدخَّلت، وعملت على الصلح بين ابنها وكافور[2]، واستمرَّ كافور صاحب السُّلطة الحقيقيَّة إلى أنْ توفي أنوجور في ٨ ذي القعدة ٣٤٩هـ[3].

تولَّى علي بن الإخْشيد الحكم، وكان في الثالثة والعشرين من عمره، وأقرَّه الخليفة المطيع على حُكم مصر والشام والحجاز، واستمرَّ كافور محتفظًا بنفوذه وسُلطته، ومنع كافور عليًّا من لقاء رعاياه، وظلَّ محجورًا عليه حتى مات سنة ٣٥٥هـ، وكان من المفروض أنْ يخلفه

---

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٣، وانظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص١، د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٢٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٩٩، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، مج٢٥، ص٢٣٢، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٧، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٩٣.

ابن الصغير أحمد، ولكن كافورًا منعه من تولية الحكم بحجَّة صغر سنِّه[1].

وظلَّت مصر بدون حاكم لمدَّة شهر، ثم أعلَن كافور أنَّه قد وصَلَه خطابٌ من الخليفة العباسي تقليده فيه حكم مصر والشام، وأنَّ الخليفة بعث إليه بخلع وهدايا، وكان هذا التقليد هو الوسيلة الوحيدة لوصول كافور إلى الحكم؛ إذ لم يكن كافور صاحب حقٍّ شرعي؛ إذ لم يكن من أسرة الإخْشيد، ولكنَّ الخلافة لم تهتمَّ بذلك، حيث اعترفت بالأمر الواقع؛ إذ كان كافور دائمًا صاحب النُّفوذ الحقيقي في مصر؛ ولذلك حرص كافور على مودَّة الخليفة، واحتفظ بلقبه القديم "الأستاذ"[2].

حكَم كافور مصر حوالي عامين وأربعة أشهر، تخلَّلَها عددٌ من الكَوارِث والنَّكبات، فقد توالى هجومُ القرامطة على بلاد الشام، وتعرَّضت مصر لزلازل عنيفة، واشتعلت النيران في الفسطاط، وانخفَض ماء النيل ست سنين عانَتْ مصر فيها من القحط والغَلاء.

ومع ذلك نقول: رغم كلِّ هذا فقد ظهرت في عهد كافور نهضةٌ أدبيَّة وعلميَّة، حيث ظهر عددٌ من الفُقَهاء والأدباء والمؤرِّخين والشعراء،

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص١٩٩، وانظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، مج٢٥، ص٢٣٢، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٨، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٩، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٢٦، ١٢٧، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٢، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٦، د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص١١٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٣، انظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢، د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٢.

obeikandl.com

وكذلك زارَه الشاعر أبو الطيب المتنبي، ومدَحَه بقصائد كثيرة[1].

وكانت سياسة كافور سياسة مُهادنة للخِلافة العباسيَّة والفاطميَّة، فكان يُهدِّد كلَّ واحد بالآخَر، وظلَّ على هذا إلى أنْ تُوفِّي في مصر في جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ بعد أن حكم مصر ٢٣ سنة، استقلَّ فيها بالحكم لمدَّة عامين وأربعة أشهر، ودفن في بيت المقدس[2]، ودخل بعدها الفاطميُّون مصر بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٨هـ[3]، وأقام الدعوة للفاطميين، وأسقط حُكم الإخْشيديين[4].

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٧.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٨، انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، نفس الجزء، ص١٠.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ١٤٨، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٩٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣، ص٣٣٢، نسخة مصورة عن نسخة المطبعة الأميرية، د.ت، انظر: د. مدحت محمد عبدالنعيم، تاريخ الدولة العباسية، ج٢، ص١١٧، ١١٨.

obeikandl.com

عوامل ازدهار الحياة الفكرية في مصر في عصر الدولة الإخشيدية

أولا: انقسام الدولة العباسية.

ثانيًا: تشجيع الإخشيديين للأدباء والعلماء والفقهاء.

ثالثا: تعدُّد مؤسسات النشاط الفكري.

١ـ المساجد.

٢ـ الأسواق وحوانيت الورَّاقين.

٣ـ مجالس الأمراء وعلية القوم.

أولا: انقسام الدولة العباسيَّة

لا شكَّ أنَّ أهمَّ مظهرٍ من مظاهر ذلك العصر هو ما حدَث للدولة الإسلاميَّة من انقسام، فقد كانت الدولة الإسلاميَّة كلها في العصر العباسي الأوَّل - إذا استثنَيْنا الأندلس، وبعض بلاد المغرب - كتلةً واحدة، وتخضع كلَّ الخضوع للخليفة العباسي في بغداد، فهو الذي يُعيِّن ولاتها، وإليه يجمع خَراجها، وإليه يرجع الولاة في حُكمهم وقَضاياهم، ويُدعَى له على المنابر، وتُضرَب السكَّة باسمه، وغير ذلك من مظاهر السلطان[1]، وكان هذا سببًا في أنْ تكون حاضرة الخلافة "بغداد" - هي وحدها، وبدون منافس - مركزًا للعلم والأدب في ذلك العصر.

---

(١) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٠، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، (١٩٧٧)، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، العشيري، ص٨، المؤ سسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، د.ت.

obeikandl.com

ثم أخذت قوَّة تلك الكتلة تضعُف وتتفكَّك شيئًا فشيئًا، وكان السبب في ذلك هو ضعف الخلافة، حتى تمزَّقت المملكة الإسلاميَّة كلَّ ممزَّق، وبدَأت الأقطار الإسلاميَّة في الاستقلال عن مركز الخلافة، حتى صارَتْ هذه المملكة عبارةً عن عدَّة دول مستقلَّة، وأصبح لكلِّ دولةٍ مالها، وجندها، وإدارتها، وقضاؤها، وعُملتها، وحاكمها الخاص بها، وإنِ اعترف الحكَّام - مع ذلك الوضع - بالتبعيَّة الاسميَّة للخليفة العباسي[1].

ففي سنة ٣٢٤هـ كانت البصرة في يد ابن رائق، وفارس في يد عليِّ بن جويه، وأصبهان والري والجبل في يد أبي الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر وربيعة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد الإخْشيديين، وإفريقية والمغرب في أيدي الفاطميين، وخراسان وما وراء النهر في أيدي السامانيين، وطبرستان وجرجان في أيدي الديلم، والبحرين واليمامة تحت سَيْطرة القرامطة، واكتفت الخلافة العباسية بسَيْطرتها على بغداد وما حولها، وحتى بغداد اكتفَتْ فيها بالاسم فقط[2].

وبذلك يكون ظهور هذا الاتجاه نحو الاستقلال ظاهرة عامَّة، ولم يكن فريدًا في مصر، وإنما كان ظاهرة عامَّة نتجت عنه دُوَلٌ

---

(١) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٦، وانظر: أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٠، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٧٦، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط٩، (١٩٧٩م).

عديدة في العصر العباسي الثاني، حتى أطلق الباحثون على ذلك العصر "عصر الدولة الإقليمية"[١].

وقد اعتاد الناس أنْ يقيسوا رُقِيَّ الدولة الإسلاميَّة بوحدتها وتفرُّقها، فتكون قويَّة في حالةِ الوحدة، وتكون ضعيفةً في حالة الانقِسام، فقد ربَطُوا رُقِيَّ الدولة وازدهارها بحال الخليفة، فإنْ كان الخليفة قويًّا مُسَيطِرًا على الأقطار كلها فالدولة قويَّة ومزدهرة، والعكس صحيح[٢].

ويرى الأستاذ أحمد أمين: "أنَّ هذا المقياس غير صحيح، فقد يَضعُف الخليفة، وتصلُح الأقطار وتزدهر، وهذا ما حدث فعلاً؛ فكثيرٌ من الأقطار الإسلاميَّة كانت بعد الاستقلال عن الخلافة أفضل بكثيرٍ منها قبله؛ فعلى سبيل المثال كانت مصر تحت حُكم الطولونيين والإخْشيديين أفضل بكثيرٍ جدًّا من حكم مَن سبقهم من الولاة الذين عيَّنَتْهم الخلافة[٣].

نقول: هذا الانقسام كان سببًا في انتفاع كلِّ قطر بماله؛ يصرفه في مصالحه، ويُنفِقه في مصادر تُساعِد على ازدهار هذا القطر، ورفع شأنه بين الأقطار الأخرى.

ونعترف بأنَّه لا يوجد أدنى شكٍّ في أنَّ هذا الانقسام كان سببًا أساسًا في ضعف المقاومة أمام الخطر الخارجي المتمثِّل في الروم مثلاً، وأصبح المتحمِّل للعبء كله دُوَيْلَةٌ مستقلة - كدولة الحمدانيين مثلاً

(١) د. أحمد كامل، مصر الإسلامية، ص٦٩، ٧٠.
(٢) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٢.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص٩٣.

obeikandi.com

في مقاومتها للخطر البيزنطي - بعدما كانت تتحمَّله الدول الإسلاميَّة كلها، وزاد على هذا أنَّ الدول المستقلَّة لم تعمل على التفاهُم فيما بينها، فقد كانت علاقة كلِّ دولة مسلمة بجاراتها المسلمة علاقة نزاع وعداء في أغلب الأحيان، فلم يتمكَّنوا من التفاهُم على مصالحهم الداخليَّة علاوةً عن الخارجيَّة؛ ولذلك ضعفوا أمام عدوِّهم الخارجي(١).

ولكنَّنا نقول: إذا كان هذا العصر قد شَهِدَ تدهورًا سياسيًّا - مُتمثِّلاً في الاستقلال عن دار الخلافة، والضعف أمام العدو الخارجي - فقد شهد هذا العصر نفسه تقدُّمًا كبيرًا جدًّا، وازدِهارًا في الحركة الفكريَّة المتمثِّلة في العِلم بفُروعه المختلفة، والأدب؛ شعره ونثره(٢).

فلم يُؤثِّر ضعفُ الخلفاء في حاضِرة الخلافة واستِقلال الدول عنه على حركة العلم والأدب والثقافة بالسلب، بل على العكس؛ فقد أثَّر كلُّ هذا على تلك الحركة بالإيجاب، فقد كان هذا الانقِسام نقمةً من الناحية السياسيَّة، وفي نفس الوقت كان نعمةً من الناحية الفكريَّة، فقد كان سببًا من أسباب ازدهار العلوم المختلفة(٣).

ففي العصر العباسي الأول كان وضع السُّلطة كلها في يد الخليفة قد جعَل حاضرة الخلافة بغداد "هي المركز العلمي والأدبي الوحيد والمنفرد على الساحة، وجعل غيره غيرَ مرغوب فيه من أهل العلم

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٩٣.
(٢) أ. أحمد أمين، ج١، ص٩٢، انظر: د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٧٦، د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٨.
(٣) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٤، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٨.

والدِّين، فكان ليس أمام مَن تقدَّم ونبَغ في علمٍ من العلوم أو فن من الفنون طريقًا إلى الشهرة والزيادة في النُّبوغ وجمع الثروة والمال غير الرحيل والسفر إلى بغداد، حيث وجودُ الشهرة، وذيوع الصيت، والتقرُّب بالعلم والأدب إلى الخلفاء والأمراء، ونيل عَطاياهم ومِنَحهم[1].

ولا شكَّ في أنَّ كلَّ هذا قد تغيَّر عندما استقلَّت الأقطارُ عن مركز الخلافة؛ فقد أصبحت عاصمة كلِّ قطر مركزًا مهمًّا من مراكز الحركة العلميَّة والأدبيَّة، فأمراء كلِّ قطر يعطون مثلما يعطي خُلَفاء بغداد، ويُقدِّرون العلماء والفُقَهاء والأدباء مثلما تُقدِّرهم دار الخلافة[2]، ويهتمُّون بتحلية بلاطهم بالعلماء والأدباء، ومن ذلك أنَّ كافورًا الإخْشيدي كان حريصًا على جَذْبِ العلماء والأدباء إلى بلاطه، وحريصًا على أنْ يَفُوقَ في هذا الميدان بلاط الخليفة وبلاط سيف الدولة الحمداني[3].

وقد اشتَعلت المنافسة في ظِلِّ هذا الانقِسام، وأصبح أُمَراء كلِّ قطر يُفاخِرون أمراء القطر الآخَر بالثروة العلميَّة والأدبيَّة والدينيَّة مثلما يُفاخِروهم بكثْرة الجند، وزيادة العمران والجند[4].

---

(١) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٨، د. محمد أحمد أنيس بالاشتراك مع د. حسن أحمد محمود، د. السيد رجب حراز، دراسات في تاريخ مصر في العصور الوسطى والحديثة، ص٥٠، دار النهضة العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى، (١٩٧٣م).

(٣) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٥، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٩.

(٤) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٥، ٩٦.

obeikandl.com

فبعدما كان للحياة الفكريَّة مركزٌ واحد مهم، أصبحت لها مراكز مهمَّة مُتعدِّدة، وأصبح علماء مصر - على سبيل المثال - يُضاهون علماء بغداد، وبسبب ذلك وجدنا الأمراء الأتراك الذين لا يحسنون العربيَّة يتطلَّعون لتزيين قُصورهم بالعلماء والأدباء، وغيرهم من أهل العلم[1]، وبعد ما كان مؤرخ العلم والأدب قبل الاستقلال يجدُ نفسه أمام مادَّة علميَّة وأدبيَّة كثيرة في العراق، ثم لا يجدُ إلا قليلاً منها في تاريخ غيره، أصبح لكلِّ قطرٍ شخصيَّته المنفردة في العلم والأدب، وأصبح يجمَع تحت لوائه وفوق بلاطه عددًا كبيرًا من الشعراء والعلماء وغيرهم[2].

وقد جعَل هذا الانقسام العواصم الخاملة تشتعلُ وتنافس بغداد، بل وتتفوَّق عليها، فقد اضمحلَّت دولة الأدب في بغداد في مستهلِّ القرن الرابع الهجري[3]، و"كانت مصر تتحفَّز لحمْل لواء الزعامة الأدبيَّة الإسلاميَّة في المشرق، وكانت الفسطاط حينئذٍ تضمُّ بين جوانبها فئةً غير قليلةٍ من رجال العلم البارزين وأقطاب الأدب المفكِّرين والفُقَهاء من أمثال أبي بكر بن الحداد قاضي مصر، وتلميذه الحسن بن زولاق مُؤرِّخ مصر، وسيبويه المصري، وابن عمر الكندي، فكان اجتماع هؤلاء

(١) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٥.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص٩٥.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٦، قام بنقله، ونشره وكتابة تراجمه: محمد إبراهيم سعد، وحسين الدين، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط١، (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م).

بعضهم ببعض سببًا من أسباب تقدُّم الحركة الفكريَّة، ونمو الاجتماعات الأدبيَّة"[1].

لذلك نقول: "لو سلَّمنا بأنَّ هذا الانقسام كان شَرًّا على الحياة السياسيَّة، فإنَّه كان - بدون شكٍّ - خيرًا على الحركة الفكريَّة، وبذلك نصلُ إلى نتيجةٍ مهمَّة، وهي أنَّ الحركة الفكريَّة لا تتبع دائمًا الحياة السياسيَّة في الضعف والقوَّة، فقد تضعُف الحياة السياسيَّة ومع ذلك تزدَهِر الحياة الفكريَّة[2]، والقرن الرابع الهجري خيرُ دليلٍ على هذه النتيجة.

ثانيًا: تشجيع الإخشيديين للعلماء والأدباء والفُقهاء

عندما حكَم الإخْشيديُّون مصرَ ازداد تيَّار العلم والأدب قوَّةً وازدهارًا، وكان السبب في ذلك أنَّ الأمراء الإخْشيديين وكبار دولتهم كانوا يعطفون على العلماء والأدباء، ويسدون إليهم كثيرًا من العطايا، ويمدُّون إليهم يد العون[3].

وكان ولاة الدولة الإخْشيديَّة في مصرَ متديِّنين، وكان الإخْشيد لا يتَأخَّر عن صلاة الجمعة في الجامع العتيق في رجب وشعبان وكذلك رمضان، وكان يحضر ختم القُرآن والدعاء في هذا المسجد[4]، وقد دعته جارته يومًا إلى التكاسُل عن حضور ختم القرآن في المسجد

---

(١) المصدر السابق، ص٦.
(٢) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩٦.
(٣) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥١٥.
(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٥، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص١١٦، د. حمدي عبدالمنعم حسين، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩، والموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج١، ص٣٥٣.

الجامع، فقال لها: ويحك! لعلَّه يكون في هذه الليلة رجل صالح له عند الله منزلة فيكون في دعائه: "اللهم اغفر لجماعتنا"، فعسى أنْ أدخل فيهم، ثم ركب إلى الجامع، وحضَر الصلاة والختم[1]، وكان يحبُّ قراءة القرآن، ويبكي عند سماعها[2].

ولذلك فقد كان بلاطُ الإخْشيد مجتمعًا للعلماء والأدباء والفُقَهاء والأطبَّاء[3]، وكان مِقدارًا لقيمة العلم والأدب، عارفًا لقدرهما في رفعة الدول وانحِطاطها، يصلُ أهل العلم بعَطاياه، ويرعاهم برعايته، ويستمع إلى أحاديثهم[4]، وكان يُدنِي إليه الشعراء، فمن شُعَرائه الشاعر "سعيد" المعروف بقاضي البقر، وكان هذا الشاعر مُقرَّبًا إلى الإخْشيد، يَبِيتُ عنده يُحادِثه ويسامره[5]؛ لما امتاز به من حُلو الفُكاهة وحُسن الحديث[6].

وكان الإخْشيد يَصُون مجلسه أنْ يجري فيه لغط أو قبيح، ولقد تنازَع أبو بكر بن الحداد[7] الفقيه وأبو الذكر محمد القاضي

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١١٥، انظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج١، ص٣٥٣.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١١٦، الموسوعة الميسرة، ج١، ص٣٥٣.
(٣) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٢١.
(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٤.
(٦) المصدر السابق، ص١٨٤، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤.
(٧) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري، صاحب كتاب "الفروع"، وهو كتابٌ صغير الحجم عظيم الفائدة، وكان ابن الحداد قد أخَذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي، وكان ابن الحداد فقيهًا محققًا غوَّاصًا على المعاني، تولى القضاء بمصر والتدريس، وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه، وتقصده في الفتاوى والحوادث، وكان يقال في زمنه: "عجائب الدنيا =

المالكي، وعبدالله بن الوليد، وجري بينهم لغطٌ كثير، فلمَّا انصرَفُوا، قال: يجري هذا في مجلسي! كدت والله أنْ آمُرَ بأخْذ عَمائمهم[1].

وقد سمع الإخْشيد بسيبويه المصري وأنَّه عالِمٌ في كلِّ فن، فطلب من غِلمانه أنْ يأتوا به، فعندما جاؤوا به، طلب الإخْشيد من أبي الحسن السامري، وكان ينقطع إلى الإخْشيد أنْ يسأل سيبويه: لِمَ تيَّه الله بني إسرائيل أربعين سنة دون ثلاثين ودون خمسين، فسأله فقال: نعم؛ إنما تيَّه الله بني إسرائيل عقوبةً، فجعلها أربعين سنة؛ لأنَّ الجسد يقبل الغذاء والنماء أربعين سنة، فإذا خلفها وراءه ردَّ الغذاء والنماء، فجعل الله أربعين سنة جزاء أربعين النَّعيم، فاستحسن الإخْشيد الجواب، وأمَر الوزير صالح بن نافع أنْ يُجرِي على سيبويه دِينارين لك شهر، فكان أبوه يقبضهما إلى أنْ مات، فظلَّ سيبويه يقبضهما إلى أنْ توفي صالح بن نافع سنة ٣٤٠هـ[2].

وقد رُوِي أنَّه كان بعصر رجل يُعرَف بأبي القاسم بن عمرو بن نافع، وكان مشهورًا بعدله عند الشهود، وكان له ولدٌ يُكنى أبا جعفر

=ثلاث: غضب الجلاد، ونظافة السماء، والرد على ابن الحداد"، وكانت ولادته سنة ٢٦٤هـ، وتوفي سنة ٣٤٥هـ، وقد حدث عن أبي عبدالرحمن النسائي وغيره، وكان مُتصرِّفًا في علوم كثيرة: في القرآن، والفقه، والحديث، والشعر، وأيام العرب، والنحو، واللغة وغير ذلك، وقد حضر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور ابن الإخشيد، وكافور، وجماعة من أهل البلد، وتوفي وله تسع وسبعون سنة، وأربعة أشهر ويومان، والحداد بفتح الحاء المهملة، وتشديد الدال ثم دال بعد ألف، وكان أحد أجداده يعمل الحديد ويبيعه فنسب إليه، انظر: الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٦٦، وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧.

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٢، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١١٢.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٢٦، ٢٧.

يتفقَّه للشافعي، وكان أبو جعفر قد خرج إلى العراق فمكث هناك سنينًا ثم رجع إلى الشام، فأدخَله أبو علي إلى الإخْشيد بدمشق وعرف به، ووصفه له، فقال له الإخْشيد: أبوك الأبرص، قال: نعم، فقال له: لِمَن تتفقَّه، قال: للشافعي، فقال له الإخْشيد: أيش معنى قول المزني: "اختصرت هذا من قول الشافعي، ومن معنى قوله"؟ فأجاب أبو جعفر، وكانت هذه صنعته فأحسن الجواب، واستحسن الإخْشيد الجواب فولاَّه مظالم سواحل مصر[1].

وقد سار خُلَفاءُ الإخْشيد على نهجه في تشجيع العلماء والأدباء ومجالستهم، فكان أنوجور ابن الإخْشيد يجالس سيبويه المصري ويُنادِمه[2]، وقال أنوجور له: "يا أبا بكر، أي شيء تحبُّ؟ فقال: أحبُّ ناعِم الكساء، وليِّن الوطاء، وطيب الغذاء، ورفيع الحلوى آمرًا غير مأمور وغير مقهور، يعرف حقِّي الرفعا، ولا يدنو منه الوضعا، معافًى في جسمي، طويلاً عمري، مغفورًا ذنبي، مرغوبًا لا مرهوبًا منِّي"[3].

وقد أمر علي بن الإخْشيد الحسن بن زولاق[4] بأنْ يكتب كتابًا يتناوَل فيه سِيرة أبيه محمد بن طغج الإخْشيد، فكتب كتابًا سماه

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨١، وانظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص ٣٤٩.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٨، ٣٦، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥٧.

(٤) هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن زولاق الليثي المصري، ولد بفسطاط مصر في شعبان سنة ٣٠٦هـ (١٩١٩م - ٩١٩هـ)، وتوفي في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م)، نشَأ في مهد العلم والدرس، فكان جدُّه الحسن بن علي من مَشاهِير العلماء، ودرس الفقه على أبي بكر بن الحداد، ودرس =

"العيون الدعج"، وللحسن بن زولاق عدَّة مؤلَّفات أخرى منها "سيرة كافور الإخْشيدي"[1].

وتصلُ الحركة العلميَّة والأدبيَّة أوج ازدهارها في عهد كافور الإخْشيدي؛ فقد امتاز بحبِّه للعلم والعلماء[2]، وكان بلاطه قبلةً للعُلَماء والأُدَباء، فقد حرص أنْ يَفُوق في هذا الميدان بلاطَ الخليفة العباسي وسيفِ الدولة الحمداني[3].

وقد روى صاحب "النجوم الزاهرة" عن الذهبي: "وكان كافور يُدنِي الشعراء ويجزيهم، وكانت تُقرأ عنده في كلِّ ليلة السير وأخبار الدولة الأمويَّة والعباسيَّة[4]، وكان له نظرٌ في العربيَّة والأدب والعلم[5].

وكان المتنبي قد سمع عن سَخاء كافور، ومَنْحِه الجوائز العلماء والأدباء؛ فقد سمع المتنبي أنَّ محمد بن عاصم الشاعر، قد أنشد كافورًا

=الرواية التاريخيَّة على أبي عمر الكندي، وللأسَف لم يصلنا من تراثه إلا كتاب أخبار سيبويه المصري رغم أنَّه كان من أشهر مُؤرِّخي الدولة الإخشيدية، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٦٧، د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤ - ٣٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٩م).

(١) د. علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي، ص١٤٠، ١٤١، مكتبة النهضة بالقاهرة، ط٢١، (١٩٨٧).

(٢) د. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٦.

(٣) د. محمد عبدالحميد الرفاعي بالاشتراك مع د. أحمد كامل محمد صالح، تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، ص١١٦، دار الثقافة العربية بالقاهرة، ط١، ١٤١هـ - ١٩٩٠م)، انظر: د. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٦، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية ص٩٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٨٥، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٨، د. حسين أحمد محمود وآخرون، دراسات في تاريخ مصر في العصور الوسطى والحديثة، ص٥٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٢٨، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٥٥.

قصيدةً على أثر زلزلة عظيمة وقعت بمصر، فخافَ الناس من ذلك، وهربوا إلى الصحاري، وظنُّوا أنها القيامة، فدخل هذا الشاعر على كافور، وأنشده قصيدة عظيمة، من جملتها هذا البيت:

مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ سُوءٍ يُرَادُ بِهَا = لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ طَرَبَا

فتفاءَل كافور بها، وأجازَه على هذه القصيدة ألف دينار[1].

ولذلك فقد فارَق المتنبي سيفَ الدولة ابن حمدان، وقصد كافورًا ومدَحَه بقصائد عديدة، وربما كان السبب في حُضور المتنبي إلى مصر ومدحه لكافور هو طمعه في أنْ يوليه كافور ولايةً من الولايات[2].

وقد عرف الولاة الإخْشيديُّون قدْر مصر ومنزلتها حتى بلغ الأمر أنَّ كافورًا الإخْشيدي أمَر عمر بن محمد بن يوسف الكندي المؤرِّخ المصري بأنْ يُؤلِّف كتابًا يُبيِّن فيه فضائل مصر، وما خصَّها الله - تعالى - من الفضل والخيرات على كثيرٍ من البلدان[3].

وقد رُوِي أنَّ كافورًا أمَر بعشرين ألف دينار لتُوزَّع على فُقَهاء الشافعية عندما سمع أنَّ الخليفة عبدالرحمن الناصر الأندلسي أرسل

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٥، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٨١، أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، مطبوعات الشعب، (د. ت)، ص٥٣٠، د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٤٩.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص٢٠٠.

(٣) الكندي، فضائل مصر، ص٤١٩، ت د. إبراهيم أحمد العدوي، على محمد عمر، ط مكتبة وهبة مصر، دار الفكر، بيروت، (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظل الدولتين: الطولونية والإخشيدية، ص٣٣.

obeikandl.com

عشرة آلاف دينار لتُفرَّق على فُقَهاء المالكية[1]؛ ولذلك فقد ظهرت نهضة علميَّة وأدبيَّة في عهده، ونبغ في مصر - في عهده - كثيرٌ من الفُقَهاء والأدباء والمؤرِّخين، من أمثال: أبي بكر بن الحداد، وتلميذه سيبويه المصري، وأبي عمر الكندي، والحسن بن زولاق[2]، فكان اجتماع هؤلاء بعضهم ببعض سببًا من أسباب تقدُّم الحركة الفكريَّة، ونمو الاجتماعات الأدبيَّة[3].

وكما اهتمَّ الولاة الإخْشيديون بالعلماء والأدباء والفُقَهاء وشجَّعوهم، فقد اهتمَّ بهم أيضًا وزراء هذه الدولة، ومدوا لهم كثيرًا من الأيادي، فقد رُوِيَ أنَّ الوزير محمد بن علي بن مقاتل وزير الإخْشيد كان يُجرِي على سيبويه المصري خمسة دنانير كلَّ شهر[4].

وقد توفَّر لهذا العصر الوزير جعفر بن الفُرات[5] المعروف باسم "ابن خزابة"، وكان يُغدِق على العلماء، ويجزل صلاتهم، وظلَّ يقودُ الحركة

---

(١) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩، د. علي حسين الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٦، انظر: د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٥٥، د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٩٧.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٦.

(٤) الحسن بن زولاق، ص٣٥، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩.

(٥) هو جعفر بن الفضل، بن جعفر، بن محمد، بن موسى، ابن الحسن، بن الفرات، المعروف "بابن خزابة"، وخزابة اسم أمهم، كانت جارية، وقد نزل مصر، وتقلَّد الوزارة لأميرها كافور، وكان أبوه وزير المقتدر بالله، وقد حدَّث أبو الفضل عن محمد بن إبراهيم الحضرمي، وطبقة من البغداديين، وعن محمد بن سعيد البرجمي الحمصي... وروى عنه الدارقطني في كتاب المديح وغيره إلى أنْ قال: قرأت في كتاب محمد بن علي بن عمر بن الفياض، ولد أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفراح في ذي الحجة، لثمانٍ خلون من سنة ثمانٍ وثلاثمائة، وذكر لي محمد بن علي الصولي أن وفاته كانت قبل تسعين وثلاثمائة، وقال لي عبدالله بن سبعين القيرواني: ليس كذلك، إنما توفي في=

العلميَّة بمصر طوال وزارته، وقد امتدَّت نحو عشرين عامًا من أيَّام كافور إلى قُرب نهاية الدولة الإخْشيديَّة، وطبعي ومثلُه يقوم على ذلك أنْ تمضي الحركة العلميَّة نحو التقدُّم والازدهار[1].

وقد رُوِيَ أنَّ الوزير أبا شجاع فاتكًا الروحي المعروف بـ(المجنون) قد راسَل المتنبي، وسأل عنده، واجتمع معه في الصحراء، وجرَتْ بينهما مفاوضات، وعندما رجَع فاتك إلى داره بعَث إلى المتنبي بهديَّة قيمتها ألف دينار، ثم أتبعها بهدايا أخرى، فمدحه المتنبي بقصيدته التي أولها:

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ = فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

إلى أنْ قال:

كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ = كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ[2]

ومن مظاهر تشجيع الإخْشيديين للعلماء والأدباء أنَّ الأمراء الإخْشيديين - على اختلافهم - قد جالَسوا سيبويه المصري تلميذ ابن الحداد - الذي سنتناوَلُه بالتفصيل عند حديثنا عن الأدباء فيما بعدُ - وتزيَّنوا بالصبر والجلد أمام نقدِه اللاذِع، وتهكُّمه المرِّ الشديد[3]، فقد رُوِي أنَّه رأى الناس يوم الجمعة قد اجتمَعُوا واحتشدت بهم الطرقات، فصاحَ بهم،

= سنة إحدى وتسعين، وهذا القول هو الصحيح، وذكر بعض المصريين أنَّه توفي يوم الأحد: لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين، انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٣٧٦ - ٣٨٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

(١) د. نجوى معتصم أحمد، للغزل في الشعر المصري، من القرن الثالث إلى نهاية العصر الفاطمي، ص٢٢، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥، انظر: د. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٦.

(٣) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩.

obeikandl.com

ما هذه الأشباح الواقفة والتماثيل العاكفة، سلط عليهم قاصفة، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، وتغلي قلوبهم واجفة! فقال له رجلٌ: أهو الإخْشيد ينزل للصلاة، فقال: هذه للأضلع البطين، المسمن البدين، قطَع الله منه الوتين، ولا سلك به ذات اليمين، ما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان، ولا حاجب ولا حاجبان، ولا تابع ولا تابعان، لا قَبِلَ الله له صلاة، ولا قرَّب له زكاة، وعمر جثته الغلاة"[1]، ورغم كلِّ هذا النقد والكلام اللاذع الشديد فلم يروِ أحدٌ من المؤرِّخين أنَّ الإخْشيد عاقَبَه على ذلك[2].

وكذلك روَى الحسن بن زولاق: "ترك كافور يومًا لصلاة الجمعة في مواكبه، فسمع صِياحًا عند مسجد الريح، فقال: أيُّ شيء هذا؟ قالوا: سيبويه، فقال: استروه عنِّي بالدرق، وهو يصيح: أبا المسك، مدحُ القط خزيٌ في السعير، لا أعتق الله منك قلامة ظفر، ثم التفت إلى الناس فقال: حصلنا على خَصِيٍّ وامرأة، لا ندري، يعني بالخصي كافورًا، وبالصبي عليَّ بن الإخْشيد، وبالمرأة أمَّه"[3].

ومع ذلك فلم يروِ أحدٌ من المؤرخين أنَّ كافورًا الإخْشيدي قد اتَّخذ موقفًا أو قرارًا بالانتقام منه[4].

---

(١) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٢٨، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ الإسلامية، ص٣٥٠.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٣٢.

(٤) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ الإسلام، ص٣٥٠.

ونستخلص من كلِّ ما سبق أنَّ الإخْشيديين كانوا يُشجِّعون العلماء والأدباء وغيرهم من أولى العلم، رغم أنَّ بعضهم قد تطاول عليهم بالنقد، وقد ساعَد كلُّ هذا على ازدهار الحركة الفكريَّة في ذلك الوقت.

ثالثا: تعدُد مؤسسات النشاط الفكري

لقد شهدت مصر إبَّان حكم الإخْشيديين نهضة علميَّة وأدبيَّة على مستوًى عالٍ من التقدُّم والازدهار، "ولا ريب أنَّه كان من أهمِّ مظاهر تلك النهضة نشاط الفُقَهاء والعلماء والأدباء، وليس من السهل تمييز كلِّ طائفة منها تمييزًا خاصًّا؛ لأنها كانت تلتَقِي في بعض الأحيان، ولكنَّنا نقصد حمَلَة علوم الشريعة والعبادات؛ حيث نتحدَّث عن الفُقَهاء، ونقصد المتخصِّصين في فنٍّ واحدٍ حين نتحدَّث عن العلماء، أمَّا الباقون ممَّن تكلَّموا في فُنونٍ مختلفة فهم الأدباء"[1].

وكان العصر الإخْشيدي غنيًّا بكلِّ هذه الطوائف[2] التي توفَّرت لها - خلال هذا العصر - أماكنُ تلتقي فيها من أجل تدارُس العلم[3]، أو تنظيم المناظرات والمنافسات[4]، وكان تعدُّد هذه الأماكن سببًا من أسباب ازدهار الحركة الفكريَّة في مصر الإخْشيديَّة.

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة، انظر: د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢.
(٣) د. عبدالرحمن زكي، الفسطاط، وضاحياتها العسكر والقطائع، ص٤١، الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة، ط١، (١٩٦٦).
(٤) د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢.

وقد تنوَّعت هذه الأماكن؛ فكان منها العام المتمثِّل في المساجد وسُوق الورَّاقين، ومنها الخاص المتمثِّل في مجالس الأمراء وعِلِيَة القوم[1]، والتي كانت منتشرةً في ذلك العصر، وقد كان لأمراء الدولة الإخْشيديَّة دُورُهم التي جعَلُوها مقرًّا لاجتماع العلماء والأدباء والفُقَهاء وغيرهم من أولي العلم، وكان بلاطهم حافلاً أيضًا بكلِّ هذه الطوائف؛ ممَّا ساعد على ازدهار الحركة الفكريَّة في وقتٍ كانت المدارس والجامعات غائبةً عن الوجود.

١ـ المساجد:

لقد لعبت المساجد دَوْرًا كبيرًا في نشر الحركة العلميَّة والأدبيَّة في مصر الإخْشيديَّة، وخاصَّة إذا عرفنا أنَّه لم تكن هناك مَدارسُ قد ظهرت، لا في العصر الإخْشيدي، ولا الطولوني من قبله؛ لذلك فقد كانت الدروس تُلقَى في تلك المساجد[2]، "وكان الفُقَهاء والعلماء والأدباء يلتقون في المساجد للمُناظَرة وبحث المسائل الفقهيَّة والأدبيَّة"[3].

وكان مركزُ الحركة العلميَّة والأدبيَّة في مصر الإخْشيديَّة وقلبها النابض في ذلك العصر جامع عمرو بن العاص[4] فلم تقتَصِر أهميَّة

---

(١) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلميَّة والأدبيَّة في الفسطاط، ص٦١، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٦٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٠م).

(٢) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص ١٦٤، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٥.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٤، انظر: د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢.

٤ د. عبدالرحمن زكي، الفسطاط وضاحياتها العسكر والقطائع، ص٤١، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٠.

obeikandl.com

مسجد عمرو بن العاص[1] على أداء الشعائر الدينيَّة فحسب، بل كان هذا المسجد كغيره من المساجد الجامعة في الأمصار الإسلاميَّة، فكان دارَ عبادة وإدارة وقضاء، ثم مدرسة جامعة تُعقَد فيها مجالسُ العلوم والآداب على اختلافها"[2].

وكان هذا المسجد مثله في هذا المجال مثل الأزهر الشريف فيما بعدُ، فقد كان مُلتَقى العلماء والفُقَهاء والأئمَّة، وإليه يلجأ الناس للاستفتاء والمشاورة، وإليه قصَد طلاب العلم لتَلقِّي العلوم التي كانت سائدةً وتُدرس في ذلك الحين، وفيه تخرَّج عددٌ كبير جدًّا من خِيرة العلماء والفُقَهاء[3].

وكان هذا المسجد - بالنسبة لأهل العلم - بمثابة دار الندوة، يجتمعون فيه من وقتٍ لآخَر، يتداوَلون فيه أمورَهم الحياتيَّة والدينيَّة والعلميَّة، وكان لهم عيدٌ أسبوعي يجتَمِعون فيه من أجل إقامة المناظرات العلميَّة والمطارحات الأدبيَّة[4].

وقد دارت كثيرٌ من المناقشات في هذا المسجد، ومن ذلك أنَّ سيبويه المصري اجتمع فيه مع ابن الحداد، يتحاوَر معه، وفي ذلك يقول الحسن بن زولاق: ".... فسمعته يتحدث، فاستحسن شيخنا حديثه، فقال له: يا أبا بكر، أعيذك بالله، هذا والله كلامٌ حسن، فقال له سيبويه:

---

(١) ويسمى أيضًا المسجد الجامع والمسجد العتيق، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، مرجع سابق، ص٣٠٥، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظل الدولتين الطولونية والإخشيدية، ص٢٢.

(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٥.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥.

(٤) المصدر السابق، ص٢٢.

بل أنت يا سيدي أعاذَك الله من كلِّ سوء، وقد فعل، إنَّ أفضل الكلام ما اعتدلت مبانيه، فعذبت معانيه، واستسلس على ألسُن ناطِقيه، ولم يستأذن على آذان سامِعيه، فقال شيخنا أبو بكر: لا يتكلَّم على الناس إلا فائق[1] أو مائق[2][3].

وكان سيبويه ذاتَ يومٍ في المسجد الجامع يتكلَّم في القضاء والقدر، فقال له رجلٌ: فكيف أعمل إذا أمرني وحالَ دون ما أمر، فصاح به سيبويه، وقال: كيف قلت؟ وضرب له مثالاً لشرطي قال لغُلامِه قبلَ صلاة الجمعة: امضِ واشترِ لي جديًا من صفته كذا، واذبحه واشوِه، واعمَل لي حلوًا ولا تتأخَّر، وقدِّمْه لي إذا انصَرفتَ من الصلاة، ثم بدأ الغُلام في التنفيذ، وأمَر الشرطي أعوانه بحبْس الغُلام، فعندما انتهى الشرطي من الصَّلاة جاء بالغلام وقال له: أين الذي أمرتك به؟ فقال: أعوانك حبسوني بأمرك، فلم أستطع فعل ما أمرتني به، ثم قال له سيبويه: أمَا كان هذا الشرطي يستحقُّ بهذا النعل[4]، وكلُّ هذا الحوار والاستفسار كان بالمسجد الجامع.

وممَّا يدلُّ على أنَّ الأشعار كانت تُلقَى في المسجد الجامع أنَّ سيبويه قد بلغه أنَّ أشعارًا قِيلَتْ في أبي بكر بن الحداد في المسجد الجامع فيها شعر هجاء، فجاء سيبويه إلى ابن الحداد، وقال:

---

(١) الفائق: هو مَن فاق غيره وعلاه بالشرف، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٣٤٨٧، ط دار المعارف بالقاهرة، (د. ت).

(٢) المائق: هو الهالك حمقًا وغباوة، وقال سيبويه: والجمع موقى، مثال: حمق، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ص٤٣٠٠.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥.

(٤) المصدر السابق، ص٢٣، ٢٤.

مَا يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا = إِنْ رَمَى فِيهِ صَبِيٌّ بِحَجَرْ

مَا حَطَّكَ الوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ = عِنْدِي وَلا ضَرَّكَ مُغْتَابُ[1]

ومن دلائل وجود تلك المناقشات والمناظرات في هذا المسجد أنَّه قد رُوِي أنَّه في سنة ٣٢٦هـ كان للشافعيَّة في جامع عمرو خمس عشرة حلقة، وللمالكيَّة مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات، وقد أدَّى شدَّة التنافُس والنِّقاش بين أصحاب هذه المذاهب إلى المُقاتَلة في المسجد[2].

ومن كلِّ ما سبَق نستطيع أنْ نصلَ إلى نتيجةٍ مُؤدَّاها: أنَّ جامع عمرو بن العاص كان يُمثِّل جامعةً إسلاميَّة تذخَرُ بحلقات الدرس، وتغصُّ بالطلاب والأساتذة وغيرهم من عامة الناس[3].

وإلى جانب مسجد عمرو بن العاص وُجِدتْ مساجد أخرى ساعدَتْ على إثراء الحياة الفكريَّة، ومن بين هذه المساجد مسجدُ "ابن عمروس"، فقد كان من المساجد البارزة في مصر الإخْشيديَّة، وقد قامَتْ فيه كثيرٌ من المحاورات والمُناقشات، ومن ذلك أنَّ سيبويه المصري جلَس في هذا المسجد وقال: مدَح الناس المتنبي في قوله:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى = عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

---

(١) المصدر السابق، ص٤٢، ٤٣.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٠، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٢٢١.

(٣) د. مصطفى الشكعة، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، ص١٠٦، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظل الدولتين الطولونية والإخشيدية، ص٢٢.

وهذا كلامٌ فاسد؛ لأنَّ الصداقة ضد العداوة، والصداقة مأخوذة من الصدق، ولو قال:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى = عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ مُدَارَاتِهِ بُدُّ

لكان أحسن وأجود[1]، وعندما بلَغ المتنبي ذلك طرَح كلام سيبويه إلى أنْ رآه في مسجد "ابن عمروس"، فقال له: أيُّها الشيخ، بلغني أنَّك أنكرت قولي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى = عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ[2]

فما الصواب عندك؟ فقال له سيبويه: العداوة ضد الصداقة، وذكر له تعديله للبيت الشعري[3]، وهذا خيرُ دليلٍ على وُجود تلك المناظرات في ذلك المسجد.

ونظرًا لأهميَّة هذه المساجد ودورها المهم والفعَّال في الحركة الفكريَّة الإسلاميَّة، فقد اعتنى بها الأمراء الإخْشيديُّون عنايةً بالغة، فكانوا يُطلِقون لها النفقات، ويأمُرون بعمارتها، ومدِّها بما تحتاجُه من الحصر والمصابيح وغيرها من الأمور اللازمة[4].

فقد اهتمَّ الإخْشيد مُؤسِّس هذه الدولة بالمساجد وخاصَّة مسجد عمرو بن العاص، وقد تمثَّل به مَن جاء بعده من الإخْشيديين، فقد

---

(١) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٤٤، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٢.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٢، ص٢٥٣، ت: د. مفيدة محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٤٥.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٦٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩٠.

اهتمُّوا بالمساجد[١]، فأنشأ كافور مسجد "القضاعي"[٢]، وبنى فيه أوَّل مِحرابٍ في مصر[٣]، وكذلك أمر أبو الحسن علي بن الإخْشيد ببناء مسجد في الجيزة، وكان الفضل في بنائه يرجع إلى كافور الإخْشيدي، فقد خاطَبَه أهل الجيزة بأنهم يريدون مسجدًا، فأجابهم، وسهَّل لهم الأمر[٤].

وكذلك بنى الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات مسجد "موسى" في سفح جبل المقطم[٥].

ومن المساجد التي حَفِظَتْها لنا النصوص التاريخيَّة في هذا العصر: مسجد "الريح"[٦]، ومسجد "الزمام"[٧]، ومسجد "الأقدام"[٨].

وكان بناء تلك المساجد خيرَ دليلٍ على اهتِمام الإخْشيديين بالحركة الفكريَّة، إلى جانب أنها تُظهِر مَدَى تديُّنهم واهتمامهم بنشر الإسلام.

---

(١) د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٤، انظر: د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٣١.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩١، انظر: د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٣١.
(٣) د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٤، انظر: د. علي حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٣١.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩١.
(٥) المصدر السابق، ص٢٩١.
(٦) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٣٢، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩٠.
(٧) المصدر السابق، ص٤١، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩٠.
(٨) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩٠.

٢ـ الأسواق وحوانيت الورّاقين:

وُجِدتْ إلى جانب المساجد مراكزُ أخرى انتَشرتْ من خِلالها الحضارة والثقافة العلميَّة والأدبيَّة والدينيَّة، وكان من أهمِّ هذه المراكز الأسواق التي كانت موئلاً للدارسين يتجاذَبون فيها أطرافَ الحديث، ويُقِيمون المنافسات والمناظرات العلميَّة[١].

ولم يكن ظُهورُ مثل هذه الأسواق مُستَحدَثًا في عصر الدولة الإخْشيديَّة بل كان قديمًا جِدًّا؛ فقد وجدت عند العرب في الجاهلية، وكانت إلى جانب مَكانتها الاجتماعيَّة والحياتيَّة المهمَّة كانت لها أهميَّتها العلميَّة والأدبيَّة، وكان من أهمِّ هذه الأسواق في الجاهليَّة: سوق عكاظ، وذو المجنة، وذو المجاز، وكان العرب يعقدون فيها المناظرات والمنافسات الشعريَّة والنثريَّة إلى جانب عقد الصفقات التجاريَّة[٢].

وكان من أهمِّ هذه الأسواق التي اشتهرَتْ بعد ذلك في مجال الحياة الفكريَّة وذاع صيتها ما أُطلِق عليها "أسواق الورَّاقين"[٣].

وكانت سُوق الورَّاقين مسرحًا لعديدٍ من الأنشِطة والممارسات، فلم تكنْ فقط لبيع الورق والكتب ولوازمها، بل كانت مُلتَقى العلم

---

(١) د. هالة شاكر عبدالرحمن، الورق والوراقون في العصر العباسي (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ)، ص٢٠٤، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٢.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٠.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٨، انظر: الأستاذ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٦٤، د. إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣، د. علي حسن الربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢.

والعلماء، "فقد كانت ملتقى للعلماء والأدباء والفُقَهاء والمثقَّفين، كما كانت حلية المناظرات والمنافَسات[١]، وقد كانت بمدينة الفسطاط في عصر الدولة الإخْشيديَّة سوقٌ عظيمة للورَّاقين[٢]، وكان سيبويه المصري - أعظم أدباء هذه الدولة - يظهر الكلام والاعتزال في الطرقات والأسواق[٣].

ويقول ابن زولاق: "حدثني مَن حضَرَه يوم الجمعة في سُوق الورَّاقين في جمعٍ كبير من الحاضرين... فكان سيبويه يصيح ويقول: الدار دار كفر، حسبكم أنَّه ما بقي في هذه البلدة العظيمة أحدٌ يقول: القرآن مخلوق[٤] إلاَّ أنا وهذا الشيخ أبو عمران - أبقاه الله - فقام أبو عمران يعدو حافيًا خوفًا على نفسه حتى لحقه رجل بنعله"[٥].

وكانت سوق الورَّاقين أيضًا بمثابة مكتبةٍ عامَّة يُتاح فيها للمهتمِّين بالقِراءة والاطِّلاع شراء ما يحتاجونه من الكتب المفيدة لهم، وكانت تُقام في هذه السُّوق مَزادات يُنادَى فيها عن الكتب الجيِّدة النادرة[٦].

---

(١) د. هالة شاكر عبدالرحمن، الورق والوراقون في العصر العباسي، ص٢٠٤.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٣.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه، المصري، ص١٨.
(٤) القول بخلق القرآن بدعةٌ نبتَتْ في العصر الأموي، ثم لم تجد الجوَّ الذي تنمو فيه وترعرع حتى كان عصر المأمون، فوجدت في شخصيَّته العالمة الاعتزاليَّة، ومن نفوذه العظيم ونفوذ علمائه المتشددين والمتعصبين للمذهب المعتزلي - خيرَ متعهدٍ لنمائها، حريص على نصرتها، شديد البطش على مخالفيها، انظر: د. أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، ج١، ص٣١٠، ٣١٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٧م).
(٥) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٨، ١٩.
(٦) د. هالة شاكر عبدالرحمن، الورق والوراقون في العصر العباسي، ص٢٠٥.

obeikandi.com

وقد ذاعَتْ شهرة أسواق الورَّاقين في القرنين: الثالث والرابع الهجريَّين اللذَيْن شَهِدَا تحوُّلاً عظيمًا في صِناعة الورق، حيث تحرَّرت مادَّة الكتابة من احتكار بلدٍ من البلاد له واستِئثارها به، وصار رخيصًا جدًّا، وكان الناس طوال استِعمالهم للبردي يعتَمِدُون على مصر[1].

وقد أصبحت صناعةُ تجهيز ورق البردي شبهَ معدومة بالإجمال في منتصف القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) تقريبًا، وذلك أنَّ الورق المؤرخ ينتهي سنة (٣٢٣هـ - ٩٣٥م)، على حين أنَّ الوثائق المكتوبة على الكاغد يبدأ تاريخها منذ (٣٠٠هـ - ١٩١٢م)[2].

وكان الكاغد في القرن الثالث الهجري يُصنع ببلاد ما وراء النهر فقط، أمَّا في القرن الرابع فكانت توجد مصانع الورق بدمشق وطبريَّة بفلسطين، وكان الكاغد منتشرًا أيضًا في مصر، فكان يعمل بسمرقند، ويُحمَل إلى الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات المتوفَّى سنة (٣٩١هـ) في كلِّ سنة[3].

وكان انتشار الكاغد بمثابة ميلادٍ جديد في تقدُّم صِناعة الورق وانتشارها في الأمصار الإسلاميَّة واتِّساع نطاق تداوُل الكتب ونسخها، وقد انعَكَس أثَرُ هذا على حوانيت الورَّاقين[4].

---

(١) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣٥٩، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، القاهرة، (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م)، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط ص٧٣.

(٢) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣٦٠، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٣.

(٣) د. صفي علي محمد، الحياة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٤.

(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٤.

obeikandl.com

ولا شكَّ أنَّه كان لازدِهار صِناعة الورَق في القرن الرابع الهجري وشُيوع المؤلَّفات العلميَّة أثر كبير في ترْك اللغويين طريقةَ المتكلمين والمحدِّثين المعتمدة على الإملاء، فقد اقتصَرُوا على تدريس كتابٍ يَقرَأ فيه أحد الطلبة والمدرِّس يشرح[1]. وكان لكلِّ هذا أثرٌ كبير في انتشار أسواق الوراقة والورَّاقين، وكان لهذا أثرُه في ازدهار الحياة الفكريَّة.

وخُلاصة القول: أنَّ حوانيت الورق وأسواقه لم تكنْ فقط لبيع الكتب ومُستَلزماتها، بل كانت بمثابة مكتبة عامَّة يُتاح فيها القِراءة والاطِّلاع، كما كانت بمثابة منتدى ثقافي يلتَقِي فيه أهلُ العلوم والآداب، فيتبادَلون عُلومهم ومَعارِفهم، ويتناقَشون في شتَّى عُلوم المعرفة، وكان لهذا أكبَرُ الأثر في ازدِهار الحياة الفكريَّة في ذلك العصر.

٣ـ مجالس الأمراء وعليَة القوم:

وفوق اجتِماعات ومجالس المساجد، وندوات ومُناظرات سُوق الورَّاقين، كانت هناك مجالس أخرى للعلم والأدب لا يحضرها إلا الخاصَّة؛ مثل مجالس العظماء من ملوك وأمراء، وعلماء ووزراء، حيث كانت تجمَعُ بين العلم والأدب، والثقافات العامَّة، وكان العصر الإخْشيدي غنيًّا بمثل هذه المجالس التي - لا شكَّ - كانت سببًا من أسباب ازدهار الحركة الفكريَّة في ذلك العصر[2].

---

(١) منز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣١٦، ٣١٧، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٤.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٤، أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٦٤، د.

وأشهر مَن عُنِي بهذه المجالس محمد بن طغج الإخْشيدي، فقد كانت دارُه مركزًا لتلك المجالس، فقد ترقَّى كافور الإخْشيدي عنده، وتربَّى في بلاطه، إلى أنْ جعَلَه الإخْشيد معلمًا لولدَيْه[1].

ومن مظاهر اهتمام الإخْشيد بمثْل هذه المجالس العلميَّة والأدبيَّة كثْرة اجتماعاته مع سيبويه المصري؛ فقد قِيل لسيبويه في مجلس الإخْشيد: ما تقول في المكاسب، فقال للرجل الذي سأَلَه: "أي شيء مكسبك؟ فقال: عمل الحصر، فقال: أي حصر التي تعمل اعتبارًا أو تعمل افتخارًا؟ فقال: حصر السامان والعبادات، فقال: هذه حصر الافتخار، لا تحلُّ لك؛ لأنَّك سبب الفتنة بعمل الحصر السامان، فيستزيد الغنيُّ ويقول: أنا أجلس على حصر سامان، وأمَّا حصر الاعتبار فحصر الحلفا التي يأوي إليها الفقراء والعبدان والمساكين والسودان"[2].

وقد سبَق أنْ ذكرنا أنَّ الإخْشيد عندما سمع عنه طلبه في مجلسه، وسأله: لِمَ تيَّه الله بني إسرائيل أربعين سنة دُون ثلاثين ودون خمسين؟ فأجاب عليه سيبويه وأحسن الجواب، واستحسن الإخْشيد هذا، فأمر الإخْشيد الوزيرَ صالح بن نافع أنْ يُجرِي على سيبويه دينارين في كلِّ

على حسن الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥، د. أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٥، ص٩٦، مكتبة النهضة العربية بالقاهرة، ط٢٢، (١٩٨٧).

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٨٣، انظر: د. صفي على محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٢٧.

obeikandl.com

شهر، فكان أبوه يقبضهما إلى أنْ مات، فظلَّ سيبويه يقبضهما إلى أنْ مات صالح بن نافع سنة ٣٤٠هـ[١].

وقد ذكرنا أنَّ الإخْشيد اجتمَع بأبي جعفر ابن عمرو بن نافع فقال له الإخْشيد: لِمَن تتفقَّه؟ قال: الشافعي، فسأله: أيش معنى قول المزني: اختصرت هذا من قول الشافعي ومن معنى قوله؟ فقال: المعنى كذا وكذا، وصار في الكلام، فولاَّه الإخْشيد مظالم السواحل[٢].

وقد وصَف ابن سعيد مجلس الإخْشيد بقوله: "وكان يَصُونه أنْ يجري فيه لغطٌ أو قبيح، ولقد تنازَع أبو بكر بن الحداد الفقيه، وأبو الذكر القاضي المالكي، وعبدالله بن الوليد، وجرى بينهم لغطٌ كثير، فلمَّا انصرَفُوا قال: يجري هذا في مجلسي! كدت والله أنْ آمُر بأخْذ عَمائمهم"[٣]، وكان الإخْشيد يجتَمِع مع أبي بكر بن الحداد الفقيه المعروف[٤].

وقد اعتنى خُلَفاء الإخْشيد بتلك المجالس، واهتمُّوا بها، فقد عُنِيَ بها ابنُه أنوجور، فقد كان كثيرَ الاجتماع بسيبويه المصري[٥].

كذلك اعتنى كافور الإخْشيدي بتلك المجالس؛ فقد روى أبو المحاسن عن الذهبي: وكان كافور يُدنِي الشعراء ويجزيهم، وكانت تُقرَأ عنده

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧.
(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨١، انظر: د. سيد إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣.
(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٢.
(٤) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥.
(٥) المصدر السابق، ص٣٥، ٣٦.

obeikandi.com

في كلِّ ليلةٍ السير وأخبار الدولة الأمويَّة والعباسيَّة[1]، وكان كافور له نظَر في العربيَّة والأدب[2]، وكان كافور يحرص على أنْ يكون بلاطُه مجمع العلماء والأدباء، وأنْ يَفُوق في هذا الميدان بلاط الخليفة وسيف الدولة[3].

وقد كان بمصر واعظٌ يَعِظُ للناس، فقال يومًا في مجلس وعظه - وكافور حاضرٌ ذلك المجلس - : "أيها الناس انظُروا إلى هوان الدنيا على الله - تعالى - فإنَّه أعطاها لمقصومين ضعيفين، وهما: الحسن بن بويه استولى على بغداد... وأعطى كافورًا ملك مصر، وهو خَصِيٌّ، فرفع كافور طرفَه إليه، فظنُّوا أنَّه يوقع به... فلمَّا فرغ من وعظه دفَع إليه مائة دينار، وأخلع عليه خلعة سنيَّة"[4].

وكان كافور الإخْشيدي في مجلسه ذاتَ يوم، فدخَل رجل ودعا له، وقال في دعائه: أدام الله أيَّامِ مولانا، بكسر الميم في (أيام)، فتحدَّث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوا عليه، وقد لاحَظ كافور هذا الخطأ، فقام رجل من أوساط الناس، وأنشد مرتجلاً:

لاَ غَرْوَ أَنْ لَحَنَ الدَّاعِي لِسَيِّدِنَا = أَوْ غَصَّ مِنْ هَيْبَةٍ بِالرِّيقِ أَوْ بَهَرِ

فَمِثْلُ سَيِّدِنَا حَالَتْ مَهَابَتُهُ = بَيْنَ البَلِيغِ، وَبَيْنَ القَوْلِ بِالْحَصَرِ

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٨، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٥٥، د. أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٥، ص٩٦.

(٢) ابن تغري بردي، للنجوم الزاهرة، ج٤، ص٦، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٨.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٨.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٨٠.

فَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ (الأَيَّامَ) عَنْ دَهَشٍ = مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، لاَ مِنْ قِلَّةِ البَصَرِ
فَقَدْ تَفَاءَلْتُ فِي هَذَا لِسَيِّدِنَا = وَالْفَأْلُ مَأْثُورَةٌ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ
بِأَنَّ أَيَّامَهُ خَفْضٌ بِلاَ نَصَبٍ = وَأَنَّ دَوْلَتَهُ صَفْوٌ بِلاَ كَدَرِ[1]

وهذا الموقف يدلُّ على أنَّ هذه المجالس كانت غنيَّة بما يُثرِي الحياة العلميَّة والأدبيَّة في ذلك الوقت، وكانت أيضًا دليلاً على استِقباح اللحن في اللغة عند أمراء الدولة الإخْشيديَّة وعُلَمائها.

ودخَل على كافور غلامٌ، فقال له كافور: ما اسمك، قال: كافور، فقال: نعم، ما كل مَن اسمُه محمد نبي[2].

وقد روى لنا الحسن بن زولاق: "حدثني أبو محمد عبدالله أبو مسلم، قال: كنت في مجلس كافور، وأخي أبو جعفر حاضر والوزير أبو الفضل ووُجوه الدولة، فجرى ذِكرُ سيبويه، فأخَذ أبو عيسى يحتدُّ بكلامه، فقال له كافور: نعم يا سيدي يا أبا الحسين، يقعُد سيبويه ويسبُّ الناس، واضحَكوا أنتم ممَّن لا يخشى بنثره في أعراض الناس، فسكَت عيسى، وأطرَقَ أبو جعفر، وسكَن المجلس، فدلَّ أنَّ ألفاظ سيبويه كانت تنقل عنه"[3].

وقد بلَغ كافورًا أنَّ أبا بكر بن مقاتل يُجرِي على سيبويه جرايةً في كلِّ شهرٍ، فجرى ذكر سيبويه في مجلسه، فقال كافور: من أين

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٥، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٨، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٥.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٥.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٤١.

يعيشُ؟ فقالوا: فقير، فقال: ما هو فقيرٌ بمصر، مَن يجري عليه الجراية لسبِّه للناس، وكان ابن مقاتل حاضرًا..."[1].

وكذلك كانت دار الوزير جعفر بن الفرات ملتقى أهل العلم والأدب[2]، فقد كان سيبويه المصري عنده وحدَه يحادثه حتى جاء سابور الخادم يُكلِّم الوزير سرًّا، فترك الوزير سيبويه وحديثه، وأقبَلَ على سابور لهمٍّ جاءَ فيه، فقام سيبويه فقال له الوزير: إلى أين يا سيدي يا أبا بكر؟ فقال: لا تجالسنَّ مَن لا يرى مجالستَك رفعة، ولا تحدثنَّ مَن لا يرى حديثك متعة، ولا تسألنَّ مَن لا تأمَن من مَنعِه، ولا تأمرنَّ مَن لا تأمَن طوعه[3].

وكذلك اهتمَّ الحسين بن محمد الماذرائي بهذه المجالس العلميَّة، فقد كان يجالس سيبويه المصري، وكان سيبويه يأكُل عنده، ويُنادِمه، وقد تأخَّر سيبويه عن مائدة أبي عليٍّ يومًا، فعمل مائدةً بيده، وأرسلَها إلى سيبويه[4]، وهذا دليلٌ على اهتمام رجال الدولة الإخْشيديَّة بتلك المجالس، ودليلٌ أيضًا على تقديرهم للعلماء والأدباء الذين كانوا سببًا في ازدِهار حركة العلوم في مصر الإسلاميَّة في ذلك الوقت.

---

(١) المصدر السابق، ص٤١، ٤٢.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٣٢.
(٤) المصدر السابق، ص٣٤.

obeikandl.com

ويروي ابن زولاق: "حدثني سيبويه قال: كنت في مجلس يموت بن المزرع[1]، وفي مجلسه طائفتان، فاختلفت مسألة الطائفتين فيما يزيد، فقالت طائفة: تزيد فضائل علي بن أبي طالب، وقالت طائفة: تزيد فضائل أبي بكر، وكان يموت حسن الفراسة، فرأى طائفة أبي بكر كبيرة، فأشفق من ذلك، فقال: اكتبوا: حدثني خالي أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ..."[2].

وكان صالح بن رشد بن الشاعر أحد أعلام النهضة الأدبيَّة البارزين[3] في مدينة الفسطاط في مصر الإخْشيديَّة، وكان يتَّخِذ من داره مكانًا لاجتماع بعض شعراء عصره، وكان الشاعر أبو هريرة أحمد بن أبي العصام ممَّن يُداوِمون على حضور مجلسه[4].

وكانت دار فاتك الإخْشيدي[5] موئلاً يضمُّ كثيرًا من الشعراء والأدباء؛ فقد اشتهر هذا الأمير بجودِه، وكان المتنبي قد سمع بكرمه

---

(١) كان صاحب أدب وملح وأخبار، أخذ عن جماعة من علماء العربية، وكان يسمي محمدًا، ويموت هو الغالب عليه، انظر: الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٧٢.

(٢) المصدر السابق؛ ص٣٩.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص٣١٧.

(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥.

(٥) هو أبو شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون، كان رومًا، أخَذ صغيرًا، وهو ممَّن أخَذَه الإخشيد من سيده بالرملة كرهًا بلا ثمن، وكان كريمَ النفس شجاعًا كثير الإقدام؛ ولذلك قيل له: المجنون، وكان مع كافور في خدمة الإخشيد، فلمَّا مات وتقرَّر لكافور الوصاية على ابني الإخشيد أنف من الإقامة في مصر؛ كيلا يكون تحت سيطرة كافور، وكان كافور يخافه ويكرمه فزعًا منه، فخرج فاتك إلى الفيوم، ثم عاد مريضًا إلى مصر ليتداوى بها وكان في مدح المتنبي له قوله:

كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الكَافِ مَنْقَصَةٌ = كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٩، ٢٥٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٤، ٥.

وكثْرة سَخائه، غير أنَّه لم يقدر على قصْد خِدمته خوفًا من كافور، فقد كان فاتك مُنافِسًا خطيرًا لكافور، ولكنْ جرى بينهما مفاوضات، وأرسل فاتك إلى المتنبي هَدايا كثيرة، واستَأذَن المتنبي كافورًا في مدح فاتك، فأَذِنَ له[1].

وكان فاتك قد اتَّخذ دارَه بعيدًا عن الفسطاط عندما تغلَّب كافور الإخْشيدي على الحكم، فقد سكَن في الفيوم، ومع ذلك فقد كان يذهب إلى الفسطاط، وكان يستَدعِي سيبويه المصري لما سمع من أدبه وظرفه[2].

وكان فاتك الإخْشيدي يركب في موكبه، وبين يديه حاجبه، وبين يديه رجالته، وخلفه أخوه مبشر، وكاتبه ابن العزمزم وجماعته، فرآه سيبويه، فصاح:

"طرق متضايقة متطابقة، وخيل متسابقة عليها عمالقة، فأرسل الله عليهم صاعقة، فسمعه فاتك، فقال: مَن هذا؟ فقالوا: سيبويه، فقال: ذكِّروني به فلعلِّي أستدعيه..."[3].

ومن كلِّ ما تقدَّم نري أنَّ مراكز الثقافة والنشاط العقلي في مصر الإسلاميَّة - والمتمثِّلة في المساجد بأنشطتها المختلفة، وأسواق الورَّاقين، ومجالس الأمراء والعلماء وعِليَة القوم - قد أسهَمتْ إسهامًا كبيرًا في إثراء الحياة الفكريَّة في ذلك العصر، فقد أسهَمَ كلُّ مركز من هذه المراكز بقَدْرٍ معيَّن، ونستطيع أنْ نقول: إنَّه باجتماع هذه

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥، ٧٦.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٤٨.

المراكـز بعضـها إلى بعـض قـد دفعـت عجلـة النهضـة الثقافيَّـة بقـوَّة إلى الأمام.

obeikandl.com

العلوم النقلية

أولا: الحديث.
ثانيًا: التفسير.
ثالثا: القراءات.
رابعًا: الفقه.

أولا: الحديث:

لا شكَّ أنَّ الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي الأساسيَّة، فكلُّ حديثٍ للرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - قانونٌ، وكلُّ عملٍ سنَّة[1]، والمقصود بالسنَّة هو كلُّ ما ورد عن الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - من قول أو فعل أو تقرير[2]، ويُعتَبر الحديث بمثابة المفسِّر أو المبيِّن لما جاء في القرآن الكريم، ونجدُ معنى ذلك في قوله - تعالى - : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤].

وبما أنَّ الشريعة التي هي أوامرُ الله ونَواهِيه إنما تُؤخَذ من الكتاب والسنَّة[3]؛ لذلك صار على كلِّ عالمٍ أو فقيهٍ أنْ يُتقِن الحديث بجانب القُرآن، ليتوفَّر له معرفةُ ما جاء فيهما من أحكامٍ شرعيَّة، ويفرق بينهما وبين غيرها من القصص والأخبار والمواعظ[4].

---

(١) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، والمؤرخون، ج١، ص٦٢، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، (١٩٧٨).
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٤١.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، الفصل السادس، ص٤٤٤.
(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٤١.

obeikandl.com

لذلك فقد كانت للحديث أهميَّة بالغة، فقد كانت الحركة العلميَّة في الأمصار الإسلاميَّة تَكاد تدورُ في فلَك الحديث ورِوايته، وكانت شُهرة الصحابة والتابعين العلميَّة متوقِّفةً على الحديث والتفسير[1].

وزاد إقبالُ طلاب العلم على دراسة القُرآن والحديث؛ لأنهم نظروا إلى هذا على أنَّه واجبٌ من أهمِّ الواجبات المفروضة على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ[2]، وصار الناس ينظُرون إلى المحدِّثين على أنَّهم أعظم الرجال في الإسلام[3].

وفي القرن الرابع الهجري شاعَتِ المؤلَّفات العلميَّة التي صنفت في مجال الحديث[4]، وكان من أصحاب هذه المصنَّفات بالفسطاط الإمامُ "أبو جعفر الأزدي" المصري الحنفي المتوفَّى سنة ٣٢١هـ المعروف بالإمام الطحاوي، وكان ثقةً ثبتًا فقيهًا، ومن مؤلفاته: "معاني الآثار"، "أحكام القرآن"، "كتاب الشروط"[5].

واستِمرارًا للنهضة العلميَّة في دراسة الحديث وحِفظه، فقد ظهَر كثيرٌ من المحدِّثين في مصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة، وقد اشتهر هؤلاء المحدِّثون بنقْد الحديث الشريف إلى جانب حِفظِه، ويأتي على

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٢) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٢٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٧.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٥.
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٤٩، انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، المطبعة الشرقية بالقاهرة، (١٩٠٩م)، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٢.

رأس هؤلاء الحافظُ الإمام أبو بكرٍ أحمد بن عمرٍو الطحَّان المتوفَّى سنة ٣٣٣هـ[١].

ومن المحدِّثين في مصر الإخْشيديَّة أيضًا الحافظ الإمام أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس المتوفَّى سنة ٣٤٧هـ[٢]، فقد كان ابن يونس إمامًا حافظًا للحديث رغم أنَّه لم يرحَلْ عن مصر، ولم يسمع الحديث من غيرها[٣]، فقد سمع أباه والنسائي[٤]، وكان خبيرًا بأيَّام الناس وتواريخهم[٥]، مع أنَّ العُرف كان قبل القَرن الرابع الهجري لا يسمح ولا يُجِيز للإنسان رواية الحديث من غير لقاء رِجاله، ومن غير أنْ يحصل على إجازة مكتوبة تُعطِيه حقَّ الرواية[٦]، وقد ألَّف ابن يونس كتابًا في تاريخ مصر على هيئة سير لعُلَمائها[٧]، ولكن للأسَف فقد ضاع هذا الكتاب، ولكنَّنا نجدُ بعض المقتطفات منه في حواشي المخطوط الذي طبَع منه الأستاذ "جست" كتاب "الولاة والقضاة"؛

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.

(٢) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، نفس الجزء والصفحة، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، نفس الصفحة، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٣.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، نفس الجزء والصفحة، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.

(٥) السيوطي، مصدر سابق، نفس الجزء والصفحة، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٦) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣١٥، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٣.

(٧) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.

obeikandl.com

للكندي، وكذلك فقد نقل عنه ابن حجر وأصحابه، وكان أساس ما كتبه ابن يونس في التاريخ[١].

ومن المحدِّثين الذين ظهَرُوا في عصر الدولة الإخْشيديَّة المحدث حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني المتوفَّى سنة ٣٥٧هـ[٢]، الحافظ العالم مملي جزء البطاقة عن النسائي، وقد اتَّفق العلماء على تقدُّمه في معرفة الحديث، وكان مشهورًا بالورع والعبادة[٣].

ومنهم الحافظ ابن السكن أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي نزيل مصر، وُلِدَ سنة ٢٩٤هـ[٤]، وسمع أبا القاسم البغوي وابن جوصا[٥]، وعنه أخذ عبدالغني بن سعيد، وقد صنَّف "الصحيح المنتقى"[٦]، ومات في المحرم سنة ٣٥٣هـ[٧].

ومنهم أيضًا الحافظ الإمام الجوَّال "أبو بكر النقاش" محمد بن علي بن حسن المصري نزيل تنيس، وقد وُلِدَ سنة ٢٨٢هـ، وسمع النسائي وأبا

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.
(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧.
(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.
(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٨، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.
(٦) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.
(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، نفس الجزء والصفحة، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، مصدر سابق، نفس الصفحة.

علي، ومات في شعبان سنة ٣٦٩هـ[١].

ومنهم أيضًا الحسن بن رشيق الإمام أبو بكر محمد العسكري المصري، وقد أخَذ الحديث عن النسائي، وعنه أخَذ الدارقطني وعبدالغني، وقال عنه ابن الطحان: ما رأيت عالِمًا أكثر حديثًا منه[٢]، وقد وُلِدَ في صفر سنة ٢٨٣هـ[٣]، وتُوفِّي في جمادي الآخرة سنة ٣٧٠هـ[٤].

ومنهم أيضًا ابن النحاس المصري الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح[٥]، نزيل نيسابور[٦]، وقد قام بأسفارٍ طويلة[٧]، وسمع أبا القاسم البغوي[٨]، وتُوفِّي سنة ٣٧٦هـ عن خمسٍ وثمانين سنة[٩].

ومنهم ابن مسرور عبدالواحد بن محمد بن أحمد، نشأ في بلخ، وتربَّى وعاش وأقام بمصر، وتُوفِّي سنة ٣٧٨هـ[١٠].

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٨، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.
(٢) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٢٦٥.
(٣) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.
(٥) د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.
(٦) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٥.
(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.
(٨) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥.
(٩) الأدفوي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء أهل الصعيد، ص٦٣٩، تحقيق: سعد محمد حسن، ومراجعة: د. طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (١٩٦٦).
(١٠) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٧، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٥، د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.

ومنهم أيضًا أحمد بن أبي الليث نصر بن محمد الحافظ أبو العباس المتوفَّى سنة ٣٥٦هـ[١]، وقالوا عنه أنَّه كان شديد القوَّة في الحِفظ[٢].

ومنهم الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن خزابة نزيل مصر ووزير كافور، وحدَّث عن محمد بن هارون الحضرمي وغيره، ورحل إليه الدارقطني، وعزم على التعليق على مسنده، قال السلفي: "كان من الحفَّاظ على المتقنين يملي ويروي في حال الوزارة، عندي من أماليه ومن كلامه على الحديث الدال على حدَّة فهمه وقوَّة عِلمه، وخزابة اسم جدَّته أم أبيه، وقد وُلِدَ سنة ٣٠٨هـ، وتُوفِّي في ربيعٍ الأول سنة ٣٩١هـ[٣].

وإلى جانب هؤلاء الذين كانوا بمصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة، وكانوا على درجةٍ عاليةٍ من حِفظ الحديث ونَقده، فقد وُجِدَ جماعةٌ آخَرون من المحدِّثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والذين انفَردوا بعلو الإسناد[٤].

ومن هؤلاء أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المالكي، وكان من أهل العلم والحفظ، وقد حدَّث بكتب أبيه كلها من حِفظه عندما كان بمصر، ولم يكن معه كتابٌ يُحدِّث

---

(١) حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٦.
(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.
(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٣٧٦، ٣٧٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٦.
(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٦، انظر: د. سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦.

منه، وهي إحدى وعشرون مُصنَّفًا، وقد ولي قضاءَ مصر لمدَّة شهرين ونصف، وتُوفِّي في ربيعٍ الأوَّل سنة ٣٢٢هـ[١].

ومنهم أيضًا أبو عبدالله بن أحمد بن بدر الربعي البغدادي، وقد حدَّث عن عباسٍ الدوري وطبقته، وقد وَلِيَ قضاء مصر، وله عدَّة تصانيف، وقد ضعَّفَه أكثر من واحد في الحديث، وتُوفِّي سنة ٣٢٩هـ وله بضع وسبعون سنة[٢].

وكان منهم أيضًا محمد بن أيوب نزيل مصر، وقد روَى عن هلال بن العلاء وطائفةٍ أخرى، وتُوفِّي سنة ٣٤١هـ، وكذلك عثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي، وقد روى بمصر عن أحمد بن شيبان الرملي وابن أميَّة الطرطوسي وطائفةٍ أخرى، وقد تُوفِّي سنة ٣٤٥هـ، وله خمسٌ وتسعون سنة[٣].

وكان منهم أيضًا أبو بكر محمد بن علي الماذرائي[٤]، وقد حدَّث عن العطاردي، وكان من صُلَحاء الكُبَراء، وقد تُوفِّي سنة ٦٤٥هـ[٥].

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٦.
(٢) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(٣) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(٤) أبوه هو علي بن أحمد الماذرائي زعيم الماذرائيين منذ ولاية خمارويه، وقد اختاره خمارويه وزيرًا له، وفي سنة ٢٧٢هـ، استقدم علي بن أحمد الماذرائي ابنه أبا بكر محمد، واستخلفه على الخراج ثم على ديوان الرسائل، ثم خلف أباه في زعامة الأسرة، وقد مُنِحَ أبو بكر بن علي الماذرائي سلطانًا واسعًا، وقد أثار الجند في مصر عليه مرتين مطالبين بعطائهم، وأحرقوا دوره ودور أهله ودور كثيرٍ من أتباعه، وقبضوا على بعض=
= الموظفين من قبله، فلم يرَ سبيلاً غير الاختفاء منهم، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٩، ٤٣.
(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٧.

ومن هؤلاء المحدِّثين أيضًا أحمد بن مهران السيرافي الذي حدَّث عن الربيع المرادي، والقاضي بكار، وقد تُوفِّي سنة ٣٤٦هـ، وأحمد بن إبراهيم بن عطيَّة البغدادي الذي يُعرَف بابن الحداد، تُوفِّي سنة ٣٦١هـ، ومحمد بن بدر، تُوفِّي سنة ٣٦٤هـ[١].

ثانيًا: التفسير:

كان تفسير القرآن الكريم فرعًا من فُروع العلوم الدينيَّة الإسلاميَّة التي اهتمَّ بها علماء المدرسة الدينيَّة، وكان لهم فيها باعٌ طويل[٢]، ونستطيع أنْ نُعرِّف التفسير بأنَّه: "فهم كتاب الله المنزَّل على نبيِّه محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه..."[٣].

ولأنَّ آيات القُرآن الكريم هي المنبع الأوَّل للأحكام الشرعيَّة فقد كانت الخطوة الأولى في التفسير هي فهْم تلك الآيات فهمًا جيِّدًا، فقد نزَل القُرآن الكريم بلغه العرب، وعلى أساليبهم[٤]، ويدلُّ على هذا المعنى قوله - تعالى - : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢]، وقوله - تعالى - : {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٥٧.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٤.
(٣) الزركشي (الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي)، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٣، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).
(٤) د. صفي علي محمد، مصدر سابق، ص١٦٤.

obeikandl.com

وكان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يتلقَّى تنزيل القرآن الكريم من الوحي، ويتولَّى هو بنفسه توضيحَه لأصحابه، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "كان ينزل جملاً جملاً، وآيات آيات؛ لبَيان التوحيد والفروض الدينيَّة بحسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانيَّة، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدَّم، وما يتأخَّر ويكون ناسخًا له، وكان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُبيِّن المجمل، ويُبيِّن الناسخ من المنسوخ، ويُعرِّفه أصحابه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات، ومقتضى الحال منها منقولاً عنه"[1].

وظلَّ الصحابة مُحتَفِظين بما عرفوه وعلموه من الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وكذلك التابعون، فقد رُوِيَ عن الصحابة هذه المعارف ونُقِل عن هؤلاء السَّلَفِ الصالح، حتى أصبحت هذه المعارف عُلُومًا تخصَّص فيها عددٌ كبيرٌ جدًّا من الرجال، ودُوِّنتْ فيها عددٌ من الكتب[2].

وبمرور الزمن تطوَّر علم التفسير وازدَهر، وأصبحت هناك منابعُ استقى منها الصحابة والتابعون وغيرهم معلوماتٍ ساعدَتْهم على تفسير القرآن الكريم، ومعرفة ألفاظه ومعانيه، وتوضيح ما اشتَملتْ عليه آياته من أحكامٍ وحوادث[3]، وتنوَّعت أنواعُ التفسير على النحو التالي:

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخامس، ص٤٣٨، ٤٣٩، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ/ خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٩.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٥.

النوع الأول: التفسير بالنقل:

ويعني: النقل عن السَّلَفِ الصالح، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآيات عن طريق النقل عن الصحابة والتابعين[1]، وكان هذا النوع من التفسير عبارةً عن مجموعةٍ من الأحاديث المأثورة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبمرور الوقت تضخَّم هذا التفسير؛ فدخَل فيه أيضًا ما نُقِلَ عن الصحابة والتابعين[2]، وكانت كتب التفسير الأولى مقصورةً على هذا النوع من التفسير[3].

النوع الثاني: التفسير بالرأي أو الاجتهاد:

وهو ما كان يعتَمِد على العقل أكثر من اعتماده على النقل[4]، وقوامه أنْ يعرف المفسِّر كلامَ العرب وتراكيبَهم وألفاظهم وجملهم ومَعانيها اللغويَّة، بالوقوف على ما ورد في الشِّعر الجاهلي وغيره من فنون القول، وكان هذا النَّوع من التفسير في نفس الدرجة من الأهميَّة بالنسبة للنوع الأوَّل، ولكنه كان مقيدًا ومقتصرًا على تفسير ما غمُض من الألفاظ[5].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخامس، ص٤٣٩.
(٢) د. قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية (العصر العباسي)، ج٤، ص٤٣٩، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، (٢٠٠٥م).
(٣) د. صفي علي محمد، المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٤) د. قصي الحسين، مصدر سابق، نفس الجزء والصفحة.
(٥) د. قصي الحسين، مصدر سابق، نفس الجزء والصفحة، انظر: د. صفي علي محمد، مصدر سابق، نفس الصفحة.

obeikandl.com

النوع الثالث: التفسير عن طريق علم أهل الكتاب أو الإسرائيليات:

على أنَّ النَّوْعَ الأوَّل من التفسير وهو التفسير بالمأثور قد اتَّسع مع مُرور الزمن بما أُدخِل عليه من آراء أهل الكتاب الذين دخَلوا في الإسلام، والذي كانت لهم آراء أخَذوها عن التوراة والإنجيل.

ويبدو أنَّ الذي دفَع المسلمين إلى هذا النوع من التفسير هو حبُّهم وميل عقولهم إلى التفصيل عند سَماع بعض الآيات التي تتضمَّن قصصًا مُعيَّنة، مثل: أصحاب الكهف، وقصص بدْء الخليقة وغيرها؛ لذلك لجؤوا إلى التوراة وحواشيها وشُروحها، وقد دخَل بعض اليهود في الدِّين الإسلامي، فتسرَّب منهم إلى المسلمين كثيرٌ من هذه الأخبار التي دخَلتْ في تفسير القُرآن الكريم[1].

وهذه المعلومات التي تُستَنتج من هذا النوع من التفسير لا تُؤثِّر في مجال العقيدة الإسلاميَّة[2]، وقد أُثِرَ عن الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - ما يجعلنا نَقِفُ موقفًا وسطًا إزاء هذه المعلومات التي أُطلِق عليها اسم "الإسرائيليَّات"؛ مثل قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تُصدِّقوهم، ولا تُكذِّبوهم))[3].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخامس، ص٤٣٩، ٤٤٠، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٨.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٦٩.
(٣) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

وكان للنُّحاة في مصر في عصر الإخْشيديين أثرٌ مذكورٌ في تفسير القرآن الكريم، فإلى جانب كونهم نحاةً اشتغلوا أيضًا بتفسير القرآن الكريم، ولم يكنْ ذلك مقصورًا على مصر وحدَها، بل كان شائعًا في الأمصار الإسلاميَّة الأخرى[1].

ويرجع السبب في اشتغال هؤلاء النُّحاة بالتفسير إلى أنَّ الأندلس كانت قد بعُدتْ عن الفصاحة بسبب الاختلاط مع الآخَرين من أتباع الأمم الأخرى التي دخَلت في نِطاق الدولة الإسلاميَّة، وقد تطلَّعت العقولُ إلى معرفة الغريب من ألفاظ القُرآن الكريم، وبالطبع كان لا بُدَّ من معرفة مُفردات القرآن الكريم وسِياقه، وظاهره وباطنه[2]؛ ولذلك كان من الطبعي أنْ يميلَ علم التفسير إلى علم النحو وغيره من علوم اللغة، ويستمدَّ منه ويعتمد على رجاله؛ ولذلك فقد وُجِدَ في العصر الإخْشيدي بعضُ النُّحاة ممَّن كان لهم باعٌ طويل في مجال التفسير[3].

وكان من أبرز نُحاة مصر الإخْشيديَّة الذين اشتغَلُوا بالتفسير "أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس"[4] النحوي المصري، وهو صاحب أعظم تآليف نحوية في عصره[5]، وفي حياته

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٧٩، ١٨٠.
(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٣، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٠.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٥٨، انظر: أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٨٠، د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٢٢، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٠.
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، نفس الجزء والصفحة.

العلميَّة أخَذ أبو جعفر النحاس بالعُلوم والآداب الإسلاميَّة التي كانت منتشرةً في عصره، والتي كان لها أثَرٌ كبير جدًّا في وضْعه التأليف في تفسير القرآن الكريم[1]، وقال عنه ابن يونس في تاريخه: إنَّه كان عالمًا يكتب الحديث، وإنَّه سمع من الحسن بن غليب وطبقته، وإنَّه خرج إلى العراق، ولقي أصحاب المبرد[2]، وكذلك فقد "سمع بمصر من أبي عبدالرحمن النسائي المحدث وغيره، وكان جيد التصانيف في متنوع العلم"[3].

ومن أهمِّ وأبرز تصانيفه التي اختصَّت بالقرآن الكريم وتفسيره:

١ - كتاب "معاني القرآن"[4]: وهذا الكتاب عبارة عن تفسيرٍ وشرحٍ لآيات القرآن الكريم وأحكامها، وهو مَلِيء بالقواعد النحويَّة، وقد جاء في مقدمة الكتاب ما نصُّه: "... قصدت في هذا الكتاب تفسيرَ المعاني والغريب وأحكام القُرآن والناسخ والمنسوخ عن المتقدِّمين من الأئمَّة، وأذكُر تصريف الكلمة واشتقاقها إنْ علمت ذلك، وما احتجَّ به العلماء الأفهام وما كان فيه تقديم وتأخير، وأشرح ذلك حتى يتبيَّنه المتعلِّم وينتفع به"[5].

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٠.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، نفس الجزء والصفحة.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٠.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٥٨، انظر: أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٧٠، د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٢٣.
(٥) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨١.

obeikandi.com

٢ - كتاب "إعراب القرآن"[١]: فهذا الكتاب عبارةٌ عن إعراب آيات القرآن الكريم وبعض جمله؛ لتسهيل قراءتها، وتوضيح اختلاف علماء النحو في إعراب الكلمات.

وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب ما نصُّه: "... هذا الكتاب نذكُر فيه - إنْ شاء الله - إعراب القرآن والقراءات التي تحتاجُ إلى أنْ يُبيَّن إعرابها والعِلَل فيها، ولا أخليه من اختلاف النحويين، وما يحتاجُ فيه من المعاني، وزيادة في المعاني وشرح لها، وما أجازَه بعضُهم من الجموع واللغات، ونسب كلِّ لغة إلى أصحابها"[٢].

وقد انتقد الزبيدي كتاب "إعراب القرآن"؛ لابن النحاس بأنَّه مملوءٌ بالأقاويل ووجهات النظر مع عدم التعليل والتفسير أو الاختيار[٣]، ولكنَّ أبا جعفر النحاس قال في أحد مواضع كتابه: "ولعلَّه يمرُّ الشيء غير مُشبع فيتوهَّم متصفِّحه أنَّ ذلك إخلال، وإنما هو لأنَّ له موضعًا غير ذلك، ومذهبنا الإيجاز والمجيء بالنكتة في موضعها من غير إطالة"[٤]، ويعتبر هذا ردٌّ لما ذهب إليه الزبيدي، وإجابة له.

ويتَّضح من قراءة ما كتَبَه ابن النحاس أنَّ تفسيره يميلُ إلى الناحية اللغويَّة بالدرجة الأولى[٥].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٥٨، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٢٢.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨١.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨١.
(٤) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٥) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

وكانت كتبُ تفسير القرآن - على حدِّ قول السيوطي - صورة منعكسة لاتِّجاهات القائمين عليها؛ فالنحوي يملأ تفاسيره بمسائل النحو وأوجُه الإعراب، والإخباري يُكثِر من القصص والأخبار سواء أكانت صحيحة أم غير صحيحة، والفقيه يذكُر فيه أبواب الفقه والميراث، وصاحب العلوم العقليَّة يغمره بأقوال الفلاسفة والحكماء"[1].

وكان أبو جعفر النحاس[2] يعطي أهميَّة بالغة للتفسير بالمأثور، وكان يرى أنَّه طالما قد أجمَع الجميع على أنَّ القُرآن إذا نزَل بلفظ مجمل ففسَّره الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبيَّنه، فإنَّه يكون بمنزلة القُرآن المتلو"[3].

ويقول جورجي زيدان عن ابن النحاس: "أصله من مصر، ورحل إلى بغداد، فأخَذ عن المبرد والأخفش وغيرهم، ثم عاد إلى مصر، فأقام بها حتى مات، وكان صاحب فضلٍ كثير وعلم واسع، وخلَّف مؤلفات كثيرة في اللغة والآداب والقُرآن، ولم يصِلْنا منها إلا: "شرح المعلقات السبع"، ومنها نسخة خطيَّة في المكتبة الخديوية، و"إعراب القرآن"،

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٢) لأبي جعفر النحاس مؤلفات أخرى منها: كتاب "الناسخ والمنسوخ"، وكتاب في النحو اسمه "التفاحة"، وكتاب في الاشتقاق، وكتاب في تفسير أبيات سيبويه، وكتاب "أدب الكتاب"، وكتاب "الكافي" في النحو، وكتاب "المعاني"، وقام بتفسير عشرة دواوين وأملاها، وله كتاب يُسمَّى "الوقف والابتداء"، وكتاب "شرح المعلقات السبع"، وكتاب "طبقات الشعراء"، وقد أخذ النحو عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، وابن إسحاق الزجاج، وابن الأنباري، ونفطويه".
وقد توفي بمصر يوم السبت سنة ٣٣٨هـ، وكان سبب وفاته أنه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل - وهو زائد - وهو يقطع بالعروض شيئًا من الشعر فسقط في النيل ومات، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١ - ص٥٨.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٢.

ومنه نسخة خطيَّة في المكتبة الخديوية أيضًا، وكتاب "معاني القرآن"، والجزء الأوَّل منه فيها أيضًا، وكتاب "ناسخ القرآن ومنسوخه"، وهو موجودٌ في المتحف البريطاني"[1].

وكان ابن النحاس يرفع أهل التفسير الأوَّل من الصحابة والتابعين إلى مكانة عالية، وكان يحثُّ على الأخْذ بأقاويلهم، ويرى أنَّ الجهل بقول أهل التفسير، والاجتراء على كتاب الله - تعالى - وجمله من غير علم بأقاويل المتقدِّمين يُؤدِّي إلى الغلط العظيم[2].

ومن النُّحاة المفسِّرين في مصر الإخْشيديَّة أيضًا (أبو بكر الأدفوي) محمد بن علي بن أحمد الإمام أبي بكر الأدفوي المصري المقرئ النحوي المفسِّر، وكان أبو بكر الأدفوي قد صاحَب أبا جعفر النحاس ولازَمَه، وقد تُوفِّي هذا الرجل سنة ٣٨٨هـ[3].

وكان أبو بكر الأدفوي عالمًا بالعلوم الدينيَّة في عصره وملمًّا بها، وكان لهذه العلوم تأثيرٌ على تفسيره، فقد سمع الحديث من سعيد بن السكن وغيره، وقد برَع في علوم القُرآن الكريم، وكان طلاب العلم مُعتادِين على مجالسه، حيث أخَذ عنه جماعةٌ كبيرةٌ منهم[4].

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص١٨٢، ١٨٣، مطبعة دار الهلال، (١٩٣٠).
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٢.
(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٢٢.
(٤) د. صفي علي محمد، مصدر سابق، نفس الصفحة.

obeikandl.com

ولأبي بكر الأدفوي كتابٌ في تفسير القرآن الكريم، يقَع في مائة وعشرين مجلدًا، وقال الذهبي: أم نسخة منه بمصر(١).

ثالثا: القراءات:

لقد ظهرت للقراءات سبعة طرق، حيث مثَّلت كلُّ طريقة منها مدرسةً تُعرَف بها، ويرجع ظهورُ هذه القِراءات إلى الصحابة الذين اختلفوا فيما بينهم حول قِراءة ألفاظ القُرآن، وقد أضاف البعض إلى هذه القِراءات السبع قِراءات أخرى بعد ذلك إلا أنها عند أئمَّة القراءات لا تقوى قوَّتها في النقل(٢)، وقد وصَلت هذه القراءات إلى عشر، وهي جائزةٌ عند المسلمين وأئمَّتهم، وقد يُوجَد في الإقليم الواحد قراءةٌ أو أكثر، وربما وُجِدت كلُّ القراءات في إقليمٍ واحد(٣).

ولا شَكَّ أنَّ المختصِّين بهذا العلم كانوا - إلى جانب معرفتهم بالقِراءات - على جانبٍ كبير من المعرفة بغيره من العلوم الأخرى، وخاصَّة علم النحو واللغة فقد كان أبو بكر الأدفوي أحد أئمَّة النحو بمصر من القُرَّاء(٤).

ومن أئمَّة القراءات الذين عاصَروا الدولة الإخْشيديَّة في القرن الرابع الهجري "أبو بكر الأدفوي" المصري المتوفَّى سنة ٣٨٨هـ، وقد قرأ

---

(١) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص١٠٩، مطبعة السعادة، القاهرة، (١٣٢٦هـ)، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٢٢، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٢.

(٢) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص١١، انظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٨٣، ١٨٤.

(٣) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، ص٦٦، دار الهلال بالقاهرة، (١٩٥٨م).

(٤) القفطي، أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج٣، ص١٨٦، ١٨٨، القاهرة، (١٩٥٠ - ١٩٥٥م)، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤.

obeikandl.com

على الأجلاء واعتاد على مجلسه الحكام، فقد كان مُتمكِّنًا من عُلوم العربيَّة[1].

ومن المقرئين الذين عاصروا الدولة الإخْشيدية في مصر المقرئ أحمد بن عبدالعزيز بن بَدْهَن" نزيل مصر، وقد قرَأ على أحمد بن سهل الإشناني، وابن مجاهد، وقد حذق ومهر وطال عمره، واشتهر، وكان من أطيب الناس صوتًا وأفصحهم لسانًا، أخَذ عنه عبدالمنعم بن غلبون وابنه طاهر، وقد تُوفِّي سنة ٣٥٩هـ[2].

ومنهم أيضًا عبدالمنعم بن عبيدالله بن غلبون أبو الطيب الحلبي الذي كان أستاذًا ماهرًا، وقد انتقل إلى مصر فسكنها، وألَّف كتاب الإرشاد، وكان الوزير الإخْشيدي "جعفر بن الفضل بن الفرات" (ت٣٩١هـ) معجبًا به، وكان يحضر مجلسه، وظلَّ ابن غلبون يقرأ بمصر حتى تُوفِّي بها سنة ٣٨٩هـ[3].

ومن الذين استَوْطَنُوا مصر أيضًا في زمن الدولة الإخْشيديَّة من القرَّاء القارئ "أبو عبدالله الديباجي التستري - محمد بن سعيد بن عبدالرحمن، وقد قرَأ بمصر حتى وفاته سنة ٣٣٠هـ[4].

وكان منهم أيضًا عامر بن أحمد بن حمدان المقرئ النحوي المصري، وكان من أصحابه أحمد بن هلال، وقد قرأ على محمد بن علي

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٩٠.
(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٢٠٨، ٢٠٩، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٩١.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٩١.
(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٩٢.

obeikandl.com

الأدفوي، وعامَّة أهل مصر، وله مُؤلَّف في اختلاف السبعة، وتُوفِّي سنة ٣٣٣هـ[١].

وكان منهم أيضًا أحمد بن أسامة بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن السمح أبو جعفر بن أبي سلمة التميمي المصري المقرئ، فقد قرأ لورش على إسماعيل بن عبدالله النحاس، وقرأ عليه محمد بن النعمان، وعبدالرحمن بن يونس، وقد تُوفِّي سنة ٣٤٢هـ، وقد جاوَز المائة، وقيل: مات في رجب سنة ٣٥٦هـ[٢].

ومنهم أيضًا "حمدان بن عون" المصري، أحد الحذاق في القراءة، وقد قرَأ على أحمد بن هلال ثلاثمائة ختمة، ثم على إسماعيل بن عبدالله النحاس ختمتين، وقرأ عليه عمر بن محمد بن عراك، ومات سنة ٣٤٥هـ[٣].

وكان منهم أيضًا "محمد بن عبدالعزيز بن منير" نزيل مصر، وقد قرأ على أحمد بن هلال، وكان بصيرًا بمذهب مالك، ومات في شوال سنة ٣٣٩هـ[٤].

وكان منهم "محمد بن عبدالله المعافري"، قرأ على أبي بكر بن حميد بن القباب، وقرأ عليه خلف بن إبراهيم بن خاقان، وقد توفي بمصر سنة بضع وخمسين وثلاثمائة[٥].

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(٣) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(٤) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٩.

obeikandl.com

وكذلك كان منهم "أبو بكر بن عبدالله بن مالك بن عبدالله بني سيف التجيبي المقرئ المصري، شيخ الإقليم في القراءات في زمانه، وقد قرأ على أبي يعقوب الأزرق، وعمر دهرًا طويلاً، وقد حدَّث عن محمد بن رمح صاحب الليث بن سعد، وحدَّث عنه ابن يونس، وقد مات في جمادى الآخِرة سنة ٣٥٧هـ[١].

رابعًا: الفقه:

لا شكَّ أنَّ الفقه من أبرز العلوم الدينيَّة الإسلاميَّة التي اهتمَّ بها المسلمون، وقد اشتَغَل به كثيرٌ منهم[٢]، فعندما صار الإسلام دولةً احتاج أمراؤه ما يقضون به بين رَعاياهم في أحوالهم الشخصيَّة ومعاملاتهم الدينيَّة، فكان اعتمادهم على القرآن الكريم والحديث الشريف، فاستنبَطُوا منه الأحكام التي أصبحَتْ بعد ذلك علمًا يُسمَّى "الفقه بفروعه المشهورة؛ كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوى ونحوها[٣].

يقول ابن خلدون: "... الفقه معرفة أحكام الله - تعالى - في أفعال المكلَّفين بالوجوب بالندب والكراهة والإباحة، وهي مُستَقاة من الكتاب والسنَّة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلَّة، فإذا استُخرِجت الأحكام من تلك الأدلَّة قِيل لها: فقه..."[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٨.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص١٩٣.
(٣) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص١٣.
(٤) ابن خلدون، المقدمة، الفصل السابع، ص٥٦٣.

وقد اعتمد المسلمون على القُرآن الكريم وعلى السنَّة النبويَّة؛ فقد كان التشريع على عهد الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقومُ على الوحي، وكان الوحي وحدَه هو مصدَر التشريع وكانت الآيات التشريعيَّة تنزل على الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - جوابًا لحوادث في المجتمع الإسلامي، فقد كان المتخاصِمُون يتحاكَمون إلى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فتنزل الآية أو الآيات ناطقةً بالحكم[1]، ومن هذه الآيات التي وردَتْ في القرآن الكريم عَقِبَ أسئلة صدَرتْ من المؤمنين ما جاء في سورة البقرة: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ❖ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠]، وهذا يعني أنَّ القُرآن الكريم قد جاء بالأحكام الكليَّة التشريعيَّة التي كان لها أكبر الأثر في تنظيم المجتمع الإسلامي[2].

وكانت السنَّة إلى جانب القُرآن الكريم شارحةً له، ومبيِّنة لإجماله، فكلُّ ما قاله الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - أو فعَلَه أو حدَّث به يعدُّ تشريعًا، وكانت منزلة السنَّة النبويَّة من منزلة القُرآن الكريم[3].

---

(١) د. صفي علي محمد، مصدر سابق، ص١٩٣، ١٩٤.
(٢) د. صفي علي محمد، مصدر سابق، ص١٩٥.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٩٥.

obeikandl.com

وكان هناك أيضًا إلى جانب القُرآن والسنَّة ما سُمِّي بالقياس أو الاجتهاد، وهو ما عُرِفَ بعد ذلك بـ"الرأي"[1]، وكذلك كان هناك مصدرٌ آخَر من مصادر الفقه الإسلامي وهو "الإجماع"، والإجماع هو: "الاتِّفاق على الأمر الدِّيني عن اجتهادٍ"[2]، وبذلك أصبح الإجماع المصدر الرابع من مصادر الفقه الإسلامي (القرآن، السنَّة، القياس، الرأي، الإجماع) وهذه هي أصول الفقه[3].

وقد قامَتْ نهضةٌ تشريعيَّة قويَّة خلال القرن الثاني والثالث؛ حيث انتَقَل الفقه الإسلامي إلى مرحلةٍ جديدة، وقد اقترنَتْ هذه المرحلة بظُهور الأئمَّة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهيَّة المشهورة (المذهب الحنفي - المذهب المالكي - المذهب الشافعي - المذهب الحنبلي)[4]، وفي هذه الفترة بدَأتْ العُلوم الفقهيَّة بصفةٍ خاصَّة والإسلاميَّة بصفةٍ عامَّة تنمو وتستقلُّ[5].

وقد تطوَّر الفقه الإسلامي في مصر خِلال القرن الرابع الهجري؛ ففي مُنتَصف هذا القرن تَعادَل المذهب الشافعي والمالكي[6]، وكان

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٢) ابن خلدون المقدمة، الفصل السابع، ص٤٤٧.
(٣) ورد في ذلك عن عبدالله بن مسعود، قال: "مَن عرض له فيكم قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإنْ لم يكن في كتاب الله فليقض بما قضي فيه نبيه - صلَّى الله عليه وسلَّم - فإنْ جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقضِ فيه نبيه فليقض بما قضى به الصالحون، فإنْ جاء أمرٌ ليس في كتاب الله، ولم يقضِ فيه نبيه ولم يقضِ به الصالحون، فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقُمْ ولا يستحي"، انظرَ: ابن قيم الجوزيَة، أعلام الموقعين، ج١، ص١٧٢، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، (١٩٩٥م).
(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٢٦٩.
(٥) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، ص٧٩.
(٦) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٢٢١.

هناك مذهب أقلُّ شأنًا تُؤيِّده الخلافة وهو المذهب الحنفي، وأمَّا المذهب الحنبلي فلم يكن له ذِكْرٌ في مصر في هذه الأوقات، وكلك المذاهب غير السنيَّة؛ كالمذهب الشيعي لم يكن له وجودٌ إلا في ظُروفٍ سياسيَّة معيَّنة[1].

وفي سنة ٣٢٦هـ كان للشافعيِّين وأتْباعهم في مسجد عمرو خمس عشرة حلقة، وللمالكيِّين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط[2]، وقد كانت المنافسة تشتَعِل، والنِّزاع يقوى ويشتدُّ في بعض الأوقات بين أصحاب المذاهب المختلفة بمصر، ففي هذه السنة عاد أصحاب مالك والشافعي إلى القتال في المسجد الجامع العتيق... فلمَّا زادَ قتالُهم أرسل الإخْشيد، ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع، وكان يفتح في أوقات الصلوات، ثم سُئِلَ الإخْشيد فيهم فردَّهم[3]، ويبدو أنَّ الأمراء الإخْشيديين وأتباعهم كانوا على مُعارضةٍ مع الشافعيَّة[4].

وكان في مقدمة فُقَهاء الشافعيَّة في مصر الإخْشيديَّة أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحداد[5]، وكان "فقيهًا محققًا غوَّاصًا على المعاني، تولى القضاء بمصر والتدريس،

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الدولة الإخشيدية، ص٢٨٧.
(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٣، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص٢٢١.
(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٣، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦.
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦.

وكانت الملوك والرَّعايا تُكرِمه وتعظمه، وتقصده في الفتاوى والحوادث، وكان يُقال في زمنه: عجائب الدنيا ثلاثٌ: غضب الجلاد، ونظافة السماد، والرد على ابن الحداد"[1]، وقد وُلِدَ ابن الحداد سنة ٢٦٤هـ، وتُوفِّي سنة ٣٤٤ أو سنة ٣٤٥، وكان مُتصرِّفًا في علومٍ كثيرة من علوم القُرآن الكريم، والفقه، والحديث، والشعر، وأيَّام العرب، والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم الأخرى، ولم يكن في زمانه مثله، وكان محبَّبًا عند كلِّ الناس، الخاص منهم والعام، وحضَر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور بن الإخْشيد وكافور وجماعة من أهل البلد[2].

وقد أخَذ ابن الحداد[3] الفقهَ عن أبي إسحاق المروزي، وحدَّث عن أبي عبدالرحمن النسائي وغيره، وله كتابٌ يُسمَّى "الفروع" في المذهب، وهو كتابٌ صغيرُ الحجم كثيرُ الفائدة[4]، وقد أنشَدَ بعض الشعراء أبياتًا في أبي بكر بن الحدَّاد، يُشِيرون فيه إلى قيامه بأعمال القضاء دون تقليدٍ رسمي، ومن تلك الأبيات:

قُولُوا لِحَدَّادِنَا الْفَقِيهِ = الْعَالِمِ النَّابِهِ الْوَجِيهِ

وَالْمِسْقَعِ الْمُسْتَطِيلِ لَوْلاَ = مَا فِيهِ مِنْ نَخْوَةٍ وَتِيهِ

حَكَمْتَ حُكْمًا بِغَيْرِ عَقْدٍ = وَغَيْرِ عَهْدٍ نَظَرْتَ فِيهِ

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٣٠.

(٣) الحدَّاد بفتح الحاء المهملة وتشديد الدال ثم دال بعد ألف، وكان أحد أجداده يعمل الحديد ويبيعه، فنسب إليه، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧.

أَحْلَلْتَ فَرْجًا لِمُبْتَغِيهِ = وَوِزْرُهُ وِزْرُ مَنْ يَلِيهِ[1]

وقد ولَّى الإخْشيد الحسين بن أبي زرعة القضاءَ على أنْ ينظُر محمد بن أحمد بن الحداد في القضاء حتى يصل الكتاب من بغداد بولاية ابن أبي زرعة[2]، ولا بُدَّ أنْ يكون السبب في اختيار ابن الحداد للنيابة هو أنَّه كان معروفًا بالعلم الواسع حتى سُمِّي "فقيه الديار المصريَّة"[3].

وظلَّ أبو بكر بن الحداد ينظُر في مشاكل الناس وقَضاياهم في داره وفي الجامع حتى ورَد تقليد ابن أبي زرعة على القضاء من قبل ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد في سنة ٣٢٥هـ[4].

ومن فُقَهاء الشافعيَّة الذين أدركوا العصر الإخْشيدي أبو عبدالله الحسين بن أبي زرعة الدمشقي المتوفَّى سنة ٣٢٧هـ، وقد تولَّى القضاء في بداية حُكم الإخْشيد[5].

ومنهم أبو بكر محمد بن بشر بن عبدالله الزبيري المتوفَّى سنة ٣٣٢[6]، وأبو رجاء محمد بن أحمد بن الربيع الأسواني المتوفَّى سنة ٣٣٥، والمشهور أنَّه كان أديبًا شاعرًا، وأنَّه نظَم قصيدة طويلة بلغَتْ ثلاثين

---

(١) الكندي (أبي عمر محمد بن يوسف الكندي)، أخبار قضاة مصر، ت. د. حسين نصار، ص١٦٩، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
(٢) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٠٧.
(٤) الكندي، مصدر سابق، ص١٧٠، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصدر سابق، نفس الصفحة.
(٥) الكندي، مصدر سابق، نفس الصفحة.
(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٨.

ومائة ألف بيت، نظَم فيها قصص الأنبياء وغير ذلك من كتب الطب والفلسفة[١].

ومن فُقَهاء الشافعيَّة في مصر الإخْشيديَّة عبدالرحمن بن سلهويه الرازي، قدم إلى مصر، وتفقَّه بها، وأفتى ودرس في جامعها العتيق وتُوفِّي بها سنة ٣٣٩[٢]، ومحمد بن إبراهيم بن الحسين المعروف بابن سكرة، وهو بغدادي الأصل، سكَن مصر وحدَّث بها، وتُوفِّي سنة ٣٤٢[٣]، ومنهم عبدالله بن محمد الخصيبي[٤]، له كتاب في الفقه يسمى "المجالة"[٥]، ولي القضاء في دمشق[٦]، ثم قضاء مصر سنة ٣٤٠[٧]، فأقام بها إلى أنْ تُوفِّى بها سنة ٣٤٨هـ[٨]، وولي بعده ابنه محمد، فأقام شهرًا واحدًا، ثم مرض وتُوفِّي في سادس ربيع الأول من السنة نفسها[٩]، ومحمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي، وكان يُلقَّب بسيبويه، وكان شاعرًا فصيحًا، يتَظاهَر بالاعتزال، أخَذ عن ابن الحداد، وُلِدَ سنة

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٨، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧.
(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٨.
(٣) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧.
(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٨.
(٦) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٧) المصدر نفسه، نفس الصفحة، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧.
(٨) الكندي، أخبار قضاة مصر، ص١٧٣، والسيوطي.
(٩) المصدر نفسه، ص١٧٣ - ١٧٤، والسيوطي، مصدر سابق، نفس الصفحة.

٢٨٤، وتُوفِّي سنة ٣٥٨هـ[١]، ومحمد بن عبدالعزيز بن حسون الإسكندراني الفقيه الشافعي، حدَّث بدمشق، وتُوفِّي سنة ٣٥٩هـ[٢].

أمَّا فُقَهاء المالكيَّة، فهناك عددٌ منهم أدرك العصر الإخْشيدي منهم هارون بن محمد بن هارون الأسواني المتوفَّى سنة ٣٢٧هـ[٣]، وعلي بن عبدالله بن أبي مطر الإسكندراني المتوفَّى سنة ٣٣٠هـ[٤]، ومنهم أيضًا محمد بن يحيى بن مهدي الأسواني، وقد وَلِي قضاء مصر بأمرٍ من محمد بن طغج الإخْشيدي[٥]، فنظَر وحكَم، وركب لطلب هلال شهر رمضان، فأقام ينظُر خمسة أيام[٦]، وتُوفِّي سنة ٣٤٠[٧]، وبكر بن محمد بن العلاء القشيري، وأصله من البصرة ثم رحَل إلى مصر ومات بها سنة ٣٤٤[٨]، ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر الأسواني المتوفَّى سنة ٣٦٤ أو سنة ٣٧٤[٩]، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسواني المتوفَّى سنة ٣٧٦[١٠]، وأبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المتوفَّى سنة ٣٥٥[١١].

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٨، ١٦٩، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧.
(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٦٩.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧.
(٤) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٥) الكندي، أخبار قضاة مصر، ص١٧١، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصدر سابق، ص٣٠٨.
(٦) الكندي، أخبار قضاة مصر، ص١٧١.
(٧) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٨.
(٨) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٩) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(١٠) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(١١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

وكان أمر القضاء في مصر من اختِصاص الخليفة أو قاضي القُضاة في بغداد، ومع ذلك فكان لا بُدَّ من مُوافَقة الأمير الإخْشيدي على القاضي المعيَّن، وكان الحاكم الإخْشيدي في بعض الحالات يُعيِّن على القضاء مَن يشاء دون الرُّجوع إلى مُوافقة الخليفة[1].

وكان هناك تنافُسٌ وتهافُت كبيرٌ على منصب القضاء، وكانت تبذل الرَّشاوي من أجل ذلك، فعندما مات محمد بن عبدالله الخصيبي سعى ابن وليد لدى كافور لتولِّي منصب القضاء، وبذل لكافور مالاً في هذا السبيل، ولكنَّ أعوان كافور وخاصَّته نصَحُوه برفض طلبه، فعيَّن كافور على القضاء أبا طاهر الذهلي[2].

(١) المرجع نفسه، ص٢١٤.
(٢) الكندي، أخبار قضاة مصر، ص١٧٣ - ١٧٤، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢١٤ - ٢١٥.

obeikandl.com

العلوم العربيَّة اللسانية

أولا: الشعر.

ثانيًا: النثر.

ثالثا: النحو واللغة.

أولا: الشعر:

كان حظُّ الدراسات الشعريَّة وحركتها في مصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة هزيلاً؛ فلم تنبغ الشاعريَّة في المصريين الصميمين ممَّن تعلَّموا اللغة العربيَّة، ولا في العرب الذين وفدوا إلى مصر[1]، وهذه ظاهرة تستحقُّ النظر؛ لأنَّ مصر أخرجت في هذا العصر من الفُقَهاء والنحويين والمؤرخين مَن يضاهون نُظَراءهم في العراق، كما أنَّ فنون العمارة والفنون الزخرفيَّة في هذا العصر كانت تُشبه الفنون العباسيَّة أو العراق، ولكنَّنا إذا نظَرْنا إلى الشعراء المصريين فيه لم نجد منهم مَن يُضاهِي شعراء العراق، أمثال: أبي تمام والبحتري وابن الرومي[2].

ومهما يكن فقد ظهَر في مصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة طائفةٌ من الشعراء، منهم: أحمد بن طباطبا[3].

---

(١) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٧١، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الدولة الإخشيدية، ص٣٢٢، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٣، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠١، ٤٠٢، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري من القرن الثالث الهجري إلى نهاية العصر الفاطمي، ص٣٠، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط (١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م)، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر في ظل الدولتين: الطولونية والإخشيدية، ص٥٥.

(٢) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٧١، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٢، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٣.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٩٧، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٨، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣، =

ومن شُعَراء مصر في الدولة الإخْشيديَّة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم طباطبا، نقيب الطالبيِّين، المتوفَّى سنة ٣٤٥هـ، وكان له شعرٌ في وصف الخمر على الرغم من مركزه الديني، وكان أكثر شعره في الغزل والوصف، ومن هذا الشِّعر قوله:

خَلِيلَيَّ إِنِّي لِلثُّرَيَّا لَحَاسِدُ = وَإِنِّي عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ لَوَاجِدُ

أَيَبْقَي جَمِيعًا شَمْلُهَا وَهْيَ سَبْعَةٌ = وَأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وَهْوَ وَاحِدُ

كَذَلِكَ مَنْ لَمْ تَخْتَرِمْهُ مَنِيَّةٌ = تَرَى عَجَبًا فِيمَا يَرَى وَيُشَاهِدُ[1]

ومن الشِّعر المنسوب إليه في طول الليل - وهو معنى غريب - قوله:

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ سَارَتْ نَهَارَهَا = فَوَقَّتْ عِشَاءً وَهْيَ أَنْضَاءُ أَسْفَارِ

وَقَدْ خَيَّمَتْ كَيْ يَسْتَرِيحَ رِكَابُهَا = فَلاَ فَلَكٌ جَارٍ وَلاَ كَوْكَبٌ سَارِي[2]

القاسم بن أحمد بن خباخبا:

وهو من الشُّعَراء الذين عاشوا في مِصر في عَصر الدولة الإخْشيديَّة، وهو ابن الشاعر السابق، وكان له أبيات في وصف الخمر[3]، وقد روى الثعالبي طائفةً من شعره[4].

=حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٣، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٠.

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٤، د. محمود الحريري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧.

(٢) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٤.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٣، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٤.

(٤) الثعالبي، يتمية الدهر في محاسن أهل العصر، ج١، ص٣٧٠، ٣٧١، ت: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٣، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٤.

سعيد قاضي البقر[1]:

وهو من أشهر شُعَراء في عصر الدولة الإخْشيديَّة، واسمه أبو القاسم سعيد، وكان معروفًا بقاضي البقر، وكان من شعراء أبي الجيش ابن طولون، وكان مُقرَّبًا إلى الإخْشيد، وكان يبيت عنده، يُحادِثه، ويُسامِره، فقد كان حلو الفكاهة ومليح الحديث، وكان يَصِفُ أخلاق الإخْشيد وإمساكه، ومن شعره قوله:

حَيَّ عَلَى الكَأْسِ فِي الصَّبَاحِ = مُطَّرِحًا نُصْحَ كُلِّ لاَحِ

وَانْتَهِبِ العَيْشَ مَا تَأَتَّى = فَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى جَنَاحِ

وَأَجْرِيَنَّ مِنْ عُقُولِ قَوْمٍ = عَمُوا عَنِ الشَّرَابِ وَالْمِلاَحِ

يَا رَبِّ دَعْنِي بِلاَ صَلاَحٍ = يَا رَبِّ ذَرْنِي بِلاَ فَلاَحِ[2]

أبو الفتح كَشاجِم[3]:

هو من الشُّعَراء الذين وفَدُوا إلى مصرَ في عصر الدولة الإخْشيديَّة، فقد كان كثيرَ التردُّد عليها والإقامة بها، وكانت للطبيعة المصريَّة أثرٌ كبير في شِعره، فكان كلَّما بعُد عن مصرَ حنَّ إليها وإلى

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٤، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٥، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٢، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٢.

(٢) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٢، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٢.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٩، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٧٠، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

ما بها من رِياضٍ، وإلى حياة اللهو والمجون، ومن شِعره في هذا الصدد قوله:

قَدْ كَانَ شَوْقِي إِلَى مِصْرٍ يُؤَرِّقُنِي = فَاليَوْمَ عُدْتُ وَعَادَتْ مِصْرُ لِي دَارَا

أَغْدُو إِلَى الْجِيزَةِ الفَيْحَاءِ مُصْطَبِحًا = طَوْرًا وَأُزْجِي إِلَى شِيْرَازَ أَطْوَارَا[1]

أبو الطيب المتنبي، وزيارته لمصر:

وقد زار مصر في هذا العصر بعضُ الشعراء المشهورين، وكان أشهرهم الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين، وأقام بها أربع سنوات عند كافور الإخْشيدي، يمدحه، ويطمَع في الحصول على عملٍ من الأعمال المهمَّة، ولكنَّه لم يَنَلْ بغيته، فانقَلَبَ على كافور يهجوه بأقذع الهجاء بعد أنْ كان يمدحه بأحسن المدائح[2].

ويبدو أنَّ المتنبي كانت له علاقات بالإخْشيديين قبل زيارته الأولى لمصر في عهد كافور[3]، فقد أورد ابن سعيدٍ خبرًا بأنَّ محمد بن طغج الإخْشيدي كان بالشام، وبلغه أنَّ بها أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر، فقال: جيئوني به، فأحضَروه إليه، فأكرَمَه، وقال له: أنشدني قصيدتك الدالية في ابن الفصيصي، فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي = وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٩، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٠، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٨١، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٥، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٦، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص١٣٣، ١٣٤، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٠، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٤.

(٣) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص١٣٤.

تَبَسَّمَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ = وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوِسَادِ[1]

فقال الإخْشيد للغلمان: باللثم الخيش! وقام ولم يجلس حتى يفرغ[2].

وكذلك ذكَر الأستاذ محمود شاكر أنَّ المتنبي قد جاء إلى الإخْشيد وخاطَبَه في أواخر سنة ٣٢٢هـ، وأوائل سنة ٣٢٣هـ، عندما غزا الدمستق "قرقاش" القائد الرومي بلاد المسلمين في شمال الشام، وواجَهَه الإخْشيد، وردَّه عنها، فخاطَبَه المتنبي بالأبيات الآتية:

وَقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِيـ = ـنَ بَيْنَ وِلاَدِي وَبَيْنَ القُعُودِ

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلاَمِ = وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ

فَلاَ تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ = وَلاَ تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ اليَهُودِ

وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ = وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ[3]

وخبر زيارة المتنبي الأولى لمصرَ لم تردْ في المصادر المصريَّة التي تناولت الدولة الإخْشيديَّة بالتأريخ والذِّكر؛ مثل الولاة والقضاة؛ للكندي، وأخبار سيبويه المصري؛ لابن زولاق، ممَّا يَحمِل كثيرًا من الباحثين على الشكِّ في حُدوث مثل هذه الزيارة، إلا أنَّ بعضَهم أشار إليها[4]، ونرى أنَّ ذلك يحتاج إلى بحثٍ خاصٍّ لمناقشة هذه المسألة، والمهمُّ

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٦، انظر: المتنبي، الديوان، ص٧٦ وما بعدها، ت: د. عبدالوهاب عزام، سلسلة الذخائر رقم ١٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، (١٩٩٥م)، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص١٣٤.

(٢) يدلُّ ذلك على بخل الإخشيد، فعندما ذكر المتنبي المال، تشاغل عنه بأمور أخرى، وسأل غلمانه، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٦.

(٣) محمود شاكر، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٢٢٧، مطبعة المدني بالقاهرة، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٤) د. طه حسين، مع المتنبي، ص١٥٠، دار المعارف بالقاهرة، ط١٣، (د. ت).

هنا أنَّ المتنبي قد زار مصر في عصر كافور الإخْشيدي، ويَروِي ابن إياس أنَّه قد "وقعت زلزلةٌ عظيمة بمصر، فخاف الناس من ذلك، وهربوا إلى الصحاري، وظنُّوا أنها القيامة، فدخَل محمد بن عاصم الشاعر على كافور، وأنشَدَه قصيدةً عظيمة"[1]، من أبياتها هذا البيت:

مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ سُوءٍ يُرَادُ بِهَا = لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ طَرَبَا

فتفاءل كافور بذلك، وأجاز محمد بن عاصم بألف دينار[2]، فلمَّا بلغ أبو الطيب المتنبي أفعال كافور وجوائزه جاء إلى مصر، وامتدح كافور بقصائد كثيرة[3].

ومن شعراء العصر الإخْشيدي أيضًا محمد بن الحسن بن زكريا، ومهلهل بن يموت، وقد رُوِيَ لهما شعرٌ في رثاء الإخْشيد ومدْح ابنه أنوجور[4]، ومنهم عبيدالله بن محمد بن أبي الجوع، وصالح بن مؤنس[5]، وصالح بن رشيدين[6]،

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٨١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٥، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٨١، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٤٩، أ. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥٣٠، د. سهام مصطفى أبو زيد، كافور الإخشيدي وسياسته الداخلية والخارجية، ص١٦٣، دار الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص٢٠٠، انظر: ابن إياس، جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، ص٦٩، تحقيق: د. محمد زينهم، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٥، ٣٦٦.

(٥) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٦، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٠.

(٦) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٥، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٠.

وأبو هريرة أحمد بن عصام[1].

وممَّا يؤسف له أن شعرًا كثيرًا من العصر الإخْشيدي فُقِدَ، ولم تُسجِّله المراجع التي وصَلتْ إلينا[2]، ولكنَّ ما وصل إلينا منه يدلُّ على إقبالٍ شديد على اللهو والمجون، وقد ساعَد على هذا ازديادُ ثروة البلاد، وكذلك إسراف الأمراء وأخْذهم بحياة النعيم[3].

وقد تنوَّعت الموضوعات الشعريَّة التي فتحت أبوابها أمام شعراء مصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة على النحو التالي:

١ـ وصف الطبيعة[4]:

كان للبيئة المصريَّة تأثيرٌ كبيرٌ في تنوُّع أنماط الشِّعر واتِّجاهاته، حيث نما وازدهر في أحضانها شِعر الوصف، وبصفة خاصَّة الشِّعر الذي يهتمُّ بوصف الطبيعة[5]، حيث يأتي وصفُ الطبيعة على رأس الموضوعات الشِّعرية المصريَّة في العصر الإخْشيدي، ويرجع ذلك إلى

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٥.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، انظر: د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

(٣) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٢٤، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

(٥) من الباحثين مَن يقسم الطبيعة إلى طبيعة حيَّة وطبيعة صامتة، فالطبيعة الحيَّة: هي ما اشتَملتْ على أصناف الحيوان ما عدا الإنسان، والطبيعة الصامتة تشمل الحدائق والسُّهول والبحار والغابات... إلخ، انظر: د. عوض الغباري، شعر الطبيعة في الأدب المصري (القرن الرابع الهجري): ص٣، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٩م)، د. جودة أمين، في الطبيعة والشعر، ص٩، مكتبة أم القرى، الكويت، (١٩٨٤م).

استِقرار وهُدوء بيئة مِصر، حيث كان لذلك أكبرُ الأثر في التأثير على شُعَراء ذلك العصر[١].

ومن الشُّعَراء المشهورين الذين أبدَعُوا في وصف الطبيعة في هذا العصر: ابن وكيع التنيسي[٢]، شاعر الزهر والخمر[٣]، الذي فُتِنَ بالطبيعة المصريَّة ومظاهرها.

ويعدُّ شِعر ابن وكيع التنيسي نتاجًا طبيعيًّا لبيئة تنيس؛ فقد اشتهرت بالزرع والشجر والكروم والعمارة[٤]، ومن ذلك قولُ ابن وكيع التنيسي في وصف الرياض زمن الربيع[٥]:

هَذِي الرِّيَاضُ كَأَنَّهُنَّ عَرَائِسٌ = يَخْتَلْنَ بَيْنَ تَمَايُلٍ وَتَبَخْتُرِ

فِي جَوْهَرٍ فَاقَ الْجَوَاهِرَ قِيمَةً = لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى بَقَاءَ الْجَوهَرِ

سِرٌّ أَسَرَّ بِهِ السَّحَائِبُ فِي الثَّرَى = فَأَذَاعَهُ فَأَذَاعَ أَحْسَنَ مَنْظَرِ[٦]

وابن وكيع - على وَلَهٍ بالربيع وآثاره - لم ينسَ بقيَّةَ فصول السنة، فقد أقرَّ لذلك قصيدة مزدوجة طويلة[٧]، ويقول في بدايتها:

يَا سَائِلِي عَنْ أَطْيَبِ الدُّهُورِ = وَقَعْتَ فِي ذَاكَ عَلَى الْخَبِيرِ

---

(١) د. فتحي عبدالمحسن، الشعر في مصر، ص٢٤، انظر: د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

(٢) د. فتحي عبدالمحسن، الشعر في مصر، ص٢٤، انظر: د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

(٣) هكذا لقب د. حسين نصار "ابن وكيع التنيسي"، انظر: د. حسين نصار، ابن وكيع التنيسي، شاعر الزهر والخمر، ص٣، ٤، نشر مكتبة مصر، (د. ت)، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٣٨.

(٤) د. حسين نصار، ابن وكيع شاعر الزهر والخمر، ص٤.

(٥) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١، ٣٢.

(٦) ابن وكيع التنيسي، الديوان، ص٥٧، ت: أ. هلال ناجي، ط دار الجيل، بيروت، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

(٧) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٤١.

سَأَلْتَنِي أَيُّ الزَّمَانِ أَحْلَى = وَأَيُّهُ بِالْقَصْفِ عِنْدِي أَوْلَى

عِنْدِيَ فِي وَصْفِ الفُصُولِ الأَرْبَعَهْ = مَقَالَةٌ تُغْنِي اللَّبِيبَ مُقْنِعَهْ[1]

والقصيدة تقَعُ في ثمانية ومائة بيت، وقد تناوَل فيها الشاعر على الترتيب الفصول: الصيف والخريف والشتاء والربيع، وهي مُفرِطة أيضًا في الفكاهة، وهي تقَع في إطار الواقعيَّة، وتنأى كثيرًا عن نطاق الشاعريَّة[2].

وكذلك فإنَّ من وُصَّاف الطبيعة المجيدين الشاعر كَشاجِم[3]، الذي كان دائمَ الزيارة لمصر، وكذلك الإقامة فيها، وله أبياتٌ يرسم فيها لوحةً جميلةً للطبيعة، ويذكر فيها لوحة جميلة للطبيعة، ويذكر فيها كثيرًا من أنواع الزهور والورد[4]، فيقول:

أَمَا تَرَى مِصْرَ كَيْفَ قَدْ جُمِعَتْ = بِهَا صُنُوفُ الرِّيَاضِ فِي مَجْلِسْ

السَّوْسَنُ الْغَضُّ وَالبَنَفْسَجُ وَالْـ = ـوَرْدُ وَصُفْرُ البَهَارِ وَالنَّرْجِسْ

كَأَنَّهَا الْجَنَّةُ الَّتِي جَمَعَتْ = مَا تَشْتَهِيْهِ الْعُيُونُ وَالأَنْفُسْ

كَأَنَّمَا الأَرْضُ أُلْبِسَتْ حُلَلاً = مِنْ فَاخِرِ العَبْقَرِيِّ وَالسُّنْدُسْ

---

(١) ابن وكيع، ديوانه، ص٣٢، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٤١.

(٢) وهذا يتَّفق مع ما ذكرناه في البداية من أنَّ حظَّ الدراسات الأدبية، وخاصة الشعر في مصر في عصر الإخشيديين كان هزيلاً.

(٣) هو أبو الفتح محمود بن الحسين السندي بن شاهك، وهو من أهل الرملة بفلسطين، وكان عالمًا فاضلاً، وهو صاحب كتاب "أدب النديم"، وكان قد رحَل عن مصر إلى بغداد، ثم عاد إليها، وقد تُوفِّي سنة ٣٥٠هـ، انظر: كشاجم، ديوانه، ص٢، ط١، المطبعة الأنسية، بيروت (١٣١٣هـ)، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٩، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٤٤.

(٤) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٤٤.

وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهَا شَقَائِقُهَا = كَأَنَّهَا مِنْ عَقَائِقٍ أَكْؤُسْ[1]

وكذلك كان أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن طباطبا أحد الشُّعراء المبرَّزين في العصر الإخْشيدي، فقد أجادَ في وصف الليل ونجومه وكَواكبه[2].

ويقول د. سيد نوفل: "إذا كانت البيئة المصريَّة قد ظفرت بابن وكيع، الذي توفَّر على الرياض يَصِفُها، ويستقي محاسنها... فإنَّ هذه البيئة نفسها قد ظفرت بشاعرٍ آخَر توفَّر على وصف السَّماء والنجوم توفُّرًا، وعُنِيَ بها عِنايةً، ذلك هو محمد بن أبي القاسم أحمد بن طباطبا"[3].

٢ـ اللهو والمجون:

إنَّ كثيرًا من شِعر هذا العصر يدلُّ على الإقبال الشديد على اللهو والمجون، فقد ظفرت مصرُ في عصر الدولة الإخْشيديَّة بطائفةٍ من الشُّعراء الذين انغمس بعضهم في اللهو[4]؛ ولذلك "فقد ظهَر اللهو والمجون في الشِّعر المصري في هذا العصر، ولم يبالِ الشارع المصري بالشعور

(١) كشاجم، ديوانه، ص١٠٣، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٤٤.
(٢) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٥٥.
(٣) د. سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص٢٩٦، دار المعارف، ط٢، (د.ت).
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤، انظر: د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

obeikandl.com

الدِّيني الذي كان يَسُود في البلاد، وصدَر هذا الشِّعر عن شُعراء على اتِّصال وثيق بالأمراء"[1].

ومن الشُّعراء الذين أكثَرُوا من هذا النوع من الشِّعر، الشاعر سعيد المعروف بقاضي البقر، وكان من شُعَراء الإخْشيد[2]، **وقد أنشد يقول:**

حَيَّ عَلَى الكَأْسِ فِي الصَّبَاحِ = مُطَّرِحًا نُصْحَ كُلِّ لاَحِ

وَانْتَهِبِ العَيْشَ مَا تَأَتَّى = فَأَنْتَ مِنْهُ عَلَـــى جَنَاحِ

وَأَجْرِيَنَّ مِنْ عُقُولِ قَوْمٍ = عَمُوا عَنِ الشَّرَابِ وَالْمِلاَحِ

يَا رَبِّ دَعْنِي بِلاَ صَلاَحٍ = يَا رَبِّ ذَرْنِـــي بِلاَ فَلاَحِ[3]

ومن الأبيات السابقة نجد كيف تهكَّم هذا الشاعر بالدِّين، فهو يدعو الله أنْ يديم عليه هذا الوضع؛ وهذا يدلُّ على أنَّ حياة اللهو كان لها أثَرٌ كبير في شُعَراء ذلك العصر[4].

وكذلك كان من شُعَراء الإخْشيد المصريين الشاعر أبو هريرة أحمد بن أبي عاصم، وكان من أصحاب النوادي والمجون، والمداومة على شُرْبِ الخمر، ومن شِعره في وصف مجالس الشرب، قوله:

مجلس لا يرى الإله غير = مصلين بلا وضوء وطهر

سجود لكؤوس من دون تسبيح = سوى نغمة لعود وزمر[1]

---

(١) د. صفي على محمد، الحركة العلمية والأدبية، ص٤٠٢، انظر: د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣١.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٤، انظر: د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٤.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٢.

(٤) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٢.

وكانت لأبي هريرة أيضًا مجالس شرب ولهو في دير القصير، وقد قال فيه:

كَمْ لِي بِدَيْرِ القَصِيرِ مِنْ قَصْفٍ = مَعْ كُلِّ ذِي صَبْوَةٍ وَذِي ظَرْفِ

لَهَوْتُ فِيهِ بِشَادِنٍ غَنِجٍ = تَقْصُرُ عَنْهُ بَدَائِعُ الوَصْفِ[٢]

٣ـ الزهد:

وتحدَّث شُعَراء هذا العصر أيضًا في الزهد، وكان ذلك تيَّارًا مُضادًّا لحركة اللهو والمجون في ذلك العصر[٣]، ومن الشُّعراء الذين اشتهروا بشِعر الزهد ابن طباطبا نقيب الطالبيين، ومن شِعره في هذا الصدد:

خَلِيلَيَّ إِنِّي لِلثُّـــرَيَّا لَحَاســـِدُ = وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدُ

أَيَبْقَى جَمِيعًا شَمْلُهَا وَهْيَ سَبْعَةٌ = وَأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وَهْوَ وَاحِدُ

كَذَلِكَ مَنْ لَمْ تَخْتَرِمْهُ مَنِـــيَّةٌ = يَرَى عَجَبًا فِيمَا يَرَى وَيُشَاهِدُ[٤]

ومن الشُّعَراء الذين أنشَدُوا في هذا النوع من الشِّعر في ذلك العصر منصور الفقيه، وكان شِعرُه أقربَ إلى أسلوب الفُقَهاء؛ حيث مالت لُغته إلى التقريريَّة والأسلوب الموجز، ومن نماذج شِعره في الزهد قوله:

كُنْ بِمَا أُوتِيـــتَهُ مُغْتَبِـــطًا = تَسْتَدِمْ عُمْرَ القَنُوعِ الْمُكْتَفِي

إِنَّ فِي نَيْلِ الْمُنَى وَشْكَ الرَّدَى = وَقِيَاسَ القَصْدِ عِنْدَ السَّـرَفِ

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص٤٠٣.

(٣) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٢.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٣، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٤، د. محمود الحريري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧.

obeikandl.com

كَسِـــــرَاجٍ دُهْنُهُ قَوَّتَـــــهُ = فَإِذَا غَرَّقْـــتَهُ فِيـــهِ طَفِي[1]

٤ـ شِعر الإخوانيَات:

وكذلك وُجِدَ هذا الشِّعر في مصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة، "وهو في مُجمَله شِعرٌ اجتماعي، يعكس لنا مَدَى ما وصلت إليه مصر من مظاهر ثقافيَّة وحضاريَّة، ومن أدب الإخوانيَّات: الإهداء والاستهداء، الذي يعدُّ من الصور الحضاريَّة في الشِّعر المصري"[2]، وكان هذا الشِّعر موجودًا في عصر الطولونيين واستمرَّ كذلك حتى عصر الإخْشيديِّين[3].

ومن مظاهر وجود هذا النوع من الشِّعر في مصر الإخْشيديَّة أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ قد أعطى خاتمًا إلى الإخْشيد، وكتب معه:

وَذِي عُنُـــقٍ لَمْ يَطُلْ = عَلَيْـــهِ وَلَمْ يَقْصُرِ
وَمَتْنَـــيْنِ قَدْ حُصِرَا = عَلَى قَدَرِ الخِنْصَرِ
وَقَدْ زَادَ فِي ضَمْرِهِ = عَلَى الفَرَسِ الْمُضْمَرِ[4]

٥ـ المدح:

كان اعتناء الحكام في العصر الإخْشيدي بالأدب ظاهرًا، فقد نقل صاحب "النجوم الزاهرة" عن الذهبي "أنَّ كافورًا كان يُدنِي

(١) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٢.
(٢) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٢، ٣٣.
(٣) المصدر السابق، ص٣٣.
(٤) المصدر السابق، ص٣٣.

الشُّعراء، ويجيزهم"[1]، ومن المعلوم أنَّ أبا الطيب المتنبي قد زار مصر سنة ٣٤٦هـ، وغادَرَها سنة ٣٥٠هـ، ومدح كافورًا ثم عاد فهجاه[2].

وممَّا قاله المتنبي في مدْح كافور قصيدته المشهورة:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا = وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا[3]

ومن أبياتها:

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لا أَبَا الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لا أَخَصُّ الغَوَادِيَا

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا

وَغَيرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلْكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا

مَدًى بَلَّغَ الأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلاَّ التَّنَاهِيَا

فَأَصْبَحَ فَوْقَ العَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا[4]

وهذا أوَّل مَدْحٍ قاله فيه، وكان ذلك في جمادى الآخِرة سنة ٣٤٦هـ[5]، وأنشده أيضًا في قصيدةٍ أخرى:

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦، أ. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥٣٠.

(٢) د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٦، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٢١.

(٣) الثعالبي، تيمية الدهر، ج١، ص١٨٢، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٧، د. سهام مصطفى أبو زيد، كافور الإخشيدي، ص١٦٨.

(٤) المتنبي، ديوانه، ص٣٧٣، ٣٧٧، انظر: ابن سعيد، في حلى المغرب، ص٢٠٠، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٦، والثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص٢٣٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٨١، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٨.

(٥) المتنبي، ديوانه، ص٣٩٨، ٣٩٩، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٤.

وَأَخْـلاَقُ كَـافُورٍ إِذَا شِـئْتُ مَدْحَـهُ وَإِنْ لَـمْ أَشَـأْ تُمْلِـي عَلَـيَّ وَأَكْتُـبُ

إِذَا تَـــرَكَ الإِنْسَـــانُ أَهْـــلاً وَرَاءَهُ وَيَمَّـــمَ كَـــافُورًا فَمَـــا يَتَغَـــرَّبُ

فَتًـى يَمْـلأُ الأَفْعَـالَ رَأْيًـا وَحِكْمَـةً وَنَـادِرَةً أَحْيَـانَ يَرْضَـى وَيَغْضَـبُ[1]

وآخـر شـيءٍ أنشـده كـان في شـوال سـنة ٣٤٩هـ، حيـث أنشـده قصيدته البائية، ولم يلقه بعدها، ومنها:

وَإِنَّ مَـدِيحَ النَّـاسِ حَـقٌّ وَبَاطِـلٌ وَمَـدْحَكَ حَـقٌّ لَـيْسَ فِيـهِ كِـذَابُ

إِذَا نِلْـتُ مِنْـكَ الْـوُدَّ فَالْمَـالُ هَـيِّنٌ وَكُـلُّ الَّـذِي فَـوْقَ التُّـرَابِ تُـرَابُ

وَمَـا كُنْـتُ لَـوْلاَ أَنْـتَ إِلاَّ مُهَـاجِرًا لَـهُ كُـلَّ يَـوْمٍ بَلْـدَةٌ وَصِـحَابُ

وَلَكِنَّـكَ الـدُّنْيَا إِلَـيَّ حَبِيبَـةً فَمَـا عَنْـكَ لِـي إِلاَّ إِلَيْـكَ ذَهَـابُ[2]

ويتَّضح من ذلك أنَّ ما سمعه المتنبي من سَخاء كافور، ومنحه الجوائز للعلماء والأدباء - كان الباعِثَ الأكبر في هجرة المتنبي إلى مصر في عصر كافور الإخْشيدي[3].

كما تشيرُ بعض المصادر إلى أنَّ المتنبي كان طامعًا في أنْ يُولِّيه كافور ولاية، وعندما انشَغَل عنه كافور ولم يُحقِّق له ما أراد أنشده:

إِذَا لَـمْ تَـنُطْ بِـي ضَـيْعَةً أَوْ وِلاَيَـةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ[4]

وكان المتنبي يخاطب كافورًا أنوجور، حيث يقول:

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٨.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٤.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص٢٠٠، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٥١، د. صفي علي، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٠٤، د. عبدالرزاق حميد، الأدب العربي في مصر، ص؟؟؟، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، (د.ت).

وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا المُلْكِ مُرْضِعًا وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلاَ أَبُ

وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبلِهِ وَمَا لَكَ إِلاَّ الْهِنْدُوَانِيُّ مِخلَبُ[1]

ولم يقتصرْ مدحُ المتنبي على كافور، بل امتدَّ ليشمل الوزير أبا شجاع فاتكًا الرومي المعروف بالمجنون[2]، فقد مدحه بقصيدة جاء في بدايتها:

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ = فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

إلى أنْ قال:

كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الكَافِ مَنْقَصَةٌ = كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ[3]

"ومن قصائد المدح المعروفة في العصر الإخْشيدي قصيدة أبي القاسم بن أبي العفير الأنصاري في مدْح الوزير أبي بكر بن صالح الروزبادي، وكان ذلك في مجلس كافور الإخْشيدي، الذي كان يضمُّ الوزراء، وعلى رأسهم جعفر بن الفضل بن الفرات ولفيفٌ من الشعراء، منهم المتنبي[4]، يقول في هذه القصيدة:

أَمَّا التَّنَاءُ فَصَادِرٌ بَلْ وَارِدٌ بَادٍ بِمَا تُسْدِي عَلَيَّ وَعَائِدُ

---

(١) المتنبي، ديوانه، ص٣٩٩، انظر: د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٧.

(٢) هو الأمير أبو شجاع فاتك الرومي الإخشيدي، وكان يعرف بالمجنون، وقد اشترك الإخشيد من أستاذه بالرملة كدهاء وأعتقه، وحظي عند الإخشيد، وكان رفيقًا لكافور، وكان أعظم منه، ولكنه كان ذا طيش وخفة، وكان كافور ذا سياسة، فكان كلَّما تزايد نفوذ كافور، يزيد جنون فاتك وحده، فلا يلتفت إليه كافور، بل يدرُّ عليه بالإحسان، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٤، ٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥، انظر: أ. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٤٦.

(٤) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٣.

لَـكَ يَـا أَبَـا بَكْـرٍ عَلَـيَّ صَـنَائِعٌ أَيْقَظْـنَ أَحْـوَالِي وَجَـدِّي رَاقِـدُ
أَوْلَيْتَنِـي نِعَمًـا مَتَـى أَنْكَرْتُهَـا شَـهِدَتْ عَلَـيَّ مَوَاهِـبٌ وَفَوَائِـدُ[1]

٦ـ الهجاء:

كان الهجاء من الأغراض التي تعرَّض لها الشعراء في مصر في العصر الإخْشيدي، ومنه الأبيات التي أنشَدَها المتنبي في هجاء كافور، فقد استعدَّ المتنبي للرحيل عن مصر، وجهَّز جميع ما يحتاج إليه، وأنشد قبلَ رحيلِه بيومٍ واحد قصيدته الداليَّة، التي هجا كافورًا فيها[2]، **وفي وفي آخِر هذه القصيدة يقول:**

صَـارَ الْخَصِـيُّ إِمَـامَ الآبِقِـينَ بِهَـا فَـالْحُرُّ مُسْـتَعبَدٌ وَالْعَبْـدُ مَعْبُـودُ
لاَ تَشْـتَرِ العَبْـدَ إِلاَّ وَالعَصَـا مَعَـهُ إِنَّ العَبِيـدَ لأَنْجَـاسٌ مَنَاكِيـدُ
مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوَامُـهُ البِـيضُ أَمْ آبَـاؤُهُ الصِّـيدُ
أَمْ أُذْنُـهُ فِـي يَـدِ النَّخَّـاسِ دَامِيَـةً أَمْ قَـدْرُهُ وَهْـوَ بِالْفَلْسَـيْنِ مَـرْدُودُ
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُـولَ البِـيضَ عَـاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ[3]

ونظَم المتنبي قصائدَ أخرى كثيرةً في كافور[4].

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢) د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٨، ٣٦٩.
(٣) المتنبي، ديوانه، ص٤٣٧، انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٨٩، د. ص٨٩، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦٨، د. عبدالرزاق حميد، الأدب العربي في مصر، ص٢٧٧.
(٤) المتنبي، ديوانه، ص١٧٧ وما بعدها.

obeikandl.com

ومن الشعراء المشهورين بالهجاء أيضًا في ذلك العصر الشاعرُ صالح بن مؤنس، فقد هجا الشاعر الوراق عبيدالله بن أبي الجوع في قصيدةٍ حائيَّة، حيث قال:

هَاجِيكَ فِيمَا قَالَهُ مَادِحُ فَأَنْتَ فِي صَفْحَتِكَ الرَّابِحُ
وَمَا يَقُومُ الفِيلُ مِنْ بُقِّهِ أَمْثَالُهَا فِي فَمِهِ طَائِحُ
وَرُبَّ مَنْ تَرْفَعُهُ خِزْيَةٌ مِيسَمُهَا فِي وَجْهِهِ لائِحُ[1]

٧ـ الرثاء:

وُجِدَ أيضًا شعرُ الرثاء في مصر في عصر الإخْشيديين، حيث نجدُ ذلك واضحًا في رثاء محمد بن طغج الإخْشيد، مؤسس الدولة الإخْشيديَّة، فقد رَثاه الشاعر محمد بن الحسن بن زكريا في شعرٍ يتَّضح منه أنَّه يتفجَّع لموته كثيرًا، فيذكُر كلمة "فجعتنا" خمس مرات حيث يقول:

فَجَعَتْنَا بِوَاهِبٍ لاَ نَرَاهُ يَخْلُقُ الوَجْهُ عِنْدَهُ بِابْتِذَالِ
فَجَعَتْنَا بِبَهْجَةِ الأَرْضِ فِي الأَرْ ضِ وَشَمْسِ الضُّحَى وَبَدْرِ اللَّيَالِي
فَجَعَتْنَا بِمَنْ حَمَى حُرْمَةَ الإِسْـ ـلاَمِ مِنْ حَادِثٍ وَمِنْ خَتَّالِ
فَجَعَتْنَا بِالوَاهِبِ المُجْزِلِ الْمُرْ تَاحِ حِينَ السُّؤَالِ لِلسُّؤَّالِ[2]

ومن هذا الرثاء أيضًا قوله:

لَيْسَ مَنْعَى الإِخْشِيدِ مَنْعَى مَلِيكٍ مَاتَ لَكِنْ مَوْتُ النُّهُرْ وَالْمَعَالِي

---

(١) د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٣، ٣٤.
(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون العرب، ج٥، ص١٨٤، د. عبدالرزاق حميد، الأدب العربي في مصر، ص٢٦١.

كَانَ غَيْثُ الأَنَامِ إِنْ خَلَّفَ الغَيْـ ـثَ أَطَلَّتْ سَحَابَةٌ بِانْهِمَالِ[1]

ومن شِعر الرثاء أيضًا في ذلك العصرِ الأبيات التي رثا بها المتنبي محمد بن طغج وهي:

أَرْدَى الرِّفَاقَ رَدَى الإِخْشِيدِ فَانْقَرَضُوا = فَمَا نَرَى مِنْهُمُ فِي الأَرْضِ مُنْتَجَعًا

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُخْلِي مَجَالِسَهُ = أَحْمَيْتَ أَعْيُنَنَا الإِغْمَاضَ فَامْتَنَعَا[2]

وكذلك لَمَّا مات ابن طغج، ودُفِن بمصر، رثاه أبو الطيب المتنبي بهذه الأبيات:

هُوَ الزَّمَانُ مَنَنْتَ بِالَّذِي جَمَعَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى مِنْ صَرْفِهِ بِدَعَا

لَوْ كَانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنْعَتُهُ لَمْ يَصْنَعِ الدَّهْرُ بِالإِخْشِيدِ مَا صَنَعَا

ذَاقَ الحِمَامَ فَلَمْ تَدْفَعْ عَسَاكِرُهُ عَنْهُ القَضَاءَ وَلاَ أَغْنَاهُ مَا جَمَعَا

لَوْ يَعْلَمُ اللَّحْدُ مَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ فَخَارٍ وَمِنْ نَعْمَاءَ لاَتَّسَعَا

يَا لَحْدُ طُلْ إِنَّ فِيكَ البَحْرَ مُحْتَبَسًا وَاللَّيْثَ مُهْتَصِرًا وَالْجُودَ مُجْتَمِعَا

يَا يَوْمَهُ لَمْ تَخُصَّ الفَجْعَ أُسْرَتَهُ كُلُّ الوَرَى بِرَدَى الإِخْشِيدِ قَدْ فُجِعَا[3]

الشِّعر الفكاهي:

لقد تحلَّى المصريُّون بروح الفُكاهة والنوادر بجانب تحلِّيهم بالبساطة، وقد ظهرت رُوح الفُكاهة هذه في شِعرهم، ويأتي سيبويه المصري بمَواقفه ونوادره في طَلِيعة الأدباء الذين وسمت الفكاهة مواقفهم[4].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٣٤٨، طبعة إستنابول، ١٩٤٩م.
(٢) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص١٣٤.
(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٨.
(٤) د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٢٦.

وكان لسيبويه المصري شعرٌ سهل، ولكنَّه فقيرٌ إلى الصور الشعرية العالية، فنراه يقولُ في بوابٍ حجَبَه عن قضاء مصلحة له عند أحدِ وُجوه المجتمع في الفسطاط[1]:

أَنَا بالْبَابِ وَاقِفٌ مِنْ صَلاةِ الصُـ ـصُبْحِ فِي السُّرْجِ مُمْسِكٌ لِعِنَانِي
وَيُعَايِنُ البَوَّابُ مَا أَنَا فِيهِ وَيَرَانِي كَأَنَّهُ لاَ يَرَانِي
وَاعْتِقَادِي أَنِ اسْتَخَفَّ بِمَوْلاَ هُ وَإِسْقَاطِهِ مِنَ الإِخْوَانِ
أَوْ يُزَيِّلْنَهُ بِصَفْعٍ وَجِيعٍ فِي قَفَاهُ أَوْ يُورِمُ الأَخْدَعَانِ[2]

وكان لسيبويه شعرٌ آخَر، ولكنَّه أيضًا فقير إلى الصور الشعرية العالية، ومن ذلك قوله:

وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا زَادَتْ فَوَاضِلُهُ عَلَى نَوَاقِصِهِ تَخْتَرْ بِقِسْطَاسِ
وَاقْصِدْ إِلَى العِلْمِ لاَ تَطْلُبْ بِهِ بَدَلاً فَالْعِلْمُ مِنْ أَجْلِهِ كُوِّنْتَ فِي النَّاسِ
وَانْبِذْ مَقَالَةَ مَنْ يَنْهَاكَ عَنْ نَظَرٍ نَبْذَ الطَّبِيبِ لِدَاءِ القُرْحَةِ الآسِي[3]

وكان سيبويه مع ذلك خبيرًا بنقد الشعر، ويُروَى أنَّه لقي المتنبي عند المسجد، وأنكر عليه قوله[4]:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى = عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

---

(١) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٥٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٢، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٠.

(٢) الأخدع: عرق في موضع المحجمتين، وهما أخدعان، والأخدعان: عرقان خفيفان في موضع الحجامة من العنق، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ د ع)، ص١١٤.

(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٢٠، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٢.

(٤) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٤٤، ٤٥، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٢.

obeikandl.com

وقال: هذا كلام فاسد، لأن الصداقة ضد العداوة، والصداقة مأخوذة من الصدق، ولو قال:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى = عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ مُدَارَاتِهِ بُدُّ[1]

لكان أحسن وأجود[2].

٩ـ شعر المواقف والمناسبات:

وكان الشِّعر أيضًا يُعبِّر عن الأحداث والمواقف التي تقَع في تلك الفترة؛ فقد وقَعتْ وحشةٌ بين أنوجور وكافور، حينما أوغر قومٌ إلى أنوجور بأنَّه قد حُرِمَ ملك أبيه، وأنَّ كافورًا قد انفَرَد بالسُّلطة وتدبير الأمور، فلزم أنوجور الصيد، وأنهمَكَ في اللهو، ثم أجمع على المسير إلى الرحلة لملاقاة كافور بذلك راسله، ثم اصطلحا[3]، وفي هذا يقول المتنبي مباركًا الصلح:

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الأَعَادِي ... وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَّادِ

وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيـ ... ـرِكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ

صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخِبُّونَ فِيهِ ... مِنْ عِتَابٍ زِيَادَةً فِي الوِدَادِ

وَكَلَامُ الوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الأَحْـ ... ـبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الأَضْدَادِ

إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْ ... ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الفُؤَادِ[4]

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٥٣.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٤٥، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٢.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص١٨.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٤٦١، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣١.

وفي سنة ٣٢٩هـ يقضي الخليقة الراضي نحبَه، وتتمُّ البيعة لأخيه المتَّقي بالله الذي يقرُّ الإخْشيد على ما بيده[١]، وكذلك تستعيدُ مصر سِيادتها على بلاد الشام بعد موت محمد بن رائق في سنة ٣٣٠هـ على أيدي الحمدانيِّين بالموصل[٢]، وستدخُل بلاد الحجاز إلى سيادة مصر، ويُشِير إلى ذلك شعرُ الإخْشيد سعيد بن فاخر - المعروف بقاضي البقر - في قوله:

يَا مَلِكَ الشَّامِ وَمِصْرَ إِلَى أَقْصَى ثُغُورِ الرُّومِ وَالشَّامِ
وَاليَمَنِ الأَبْعَدِ لاَ زَالَتْ رفيعًا قادرًا حامٍ[٣]

تعقيب:

وإذا أمعنَّا النظر في شِعر ذلك العصر، وجدنا أنَّه من سمات شخصيَّة مصر إبَّان عصر الإخْشيديين الابتعاد عن الصراعات المذهبيَّة، حيث لا نجدُ للشعر المذهبي الذي يقومُ على الصِّراعات العقديَّة وجودًا في ذلك العصر، بالرغم من أنَّه كان من بين المصريين مَن هو علوي الهوى، أو شيعي المعتقد، أو معتزلي الفكر، إلاَّ أنَّ المصريين - على الرغم من ذلك - تمسَّكوا بتعاليم الإسلام السمحة البعيدة عن الغلو، وكان

(١) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٨، انظر: أ. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥١٥، ٥١٦.
(٢) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٨، انظر: أ. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص٥١٦.
(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص١٩٧، د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص١٦.

هـذا هـو السـبب في أنْ تظـلَّ مصـر حِصـنًا لأهـل السـنَّة والجماعـة طـوال العصور الإسلاميَّة وحتى عصر الفاطميين[1].

ثانيًا: النثر:

كان حظُّ النثر الفني أعـــظم مـــن حظِّ الشّـِعر في العصـر الإخْشيدي؛ حيث كـان فيـه الميـل إلى السَّـجع والمزواجـة مـع إطنـاب في اللفظ وتكرار المعنى وإقبال على الجمل القصيرة[2].

وفي عهد الدولـة الإخْشيديَّة نشطت الكتابـة الديوانيَّـة نشـاطًا لا يقلُّ عنها في عهد الدولـة الطولونيَّة[3]، فقد كانت رسـائل القـرن الرابـع الهجـري بصـفةٍ عامَّـة - وهـو القـرن الـذي كانـت تُعاصِـره الدولـة الإخْشيديَّة بمصر - أدلَّ دليلٍ على ازدهار الفن الإسلامي وإتقان لغته[4].

وكانـت وظيفـة الكاتـب مـن الوظـائف الرئيسـة في مصـر الإخْشـيديَّة بوَجْـهٍ خـاصٍّ وفي الخلافـة بوَجْـهٍ عـام؛ حيـث كـان الكاتـب يُعاوِن الوزير في عمله، ويُحرِّر الرسائل التي يبعَثُ بها الأمير إلى الخليفة أو غـيرِه مـن الملـوك والأمـراء؛ ولـذلك كـان الكاتـب يختـار ممَّـن نـالوا نصيبًا وافرًا من الثقافات الأدبيَّة وأصالة في الرأي[5].

---

(١) د. أحمد سيد محمد، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي، ص٤٩، ٥٠، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٢م، انظر: د. فتحي عبدالمحسن محمد، الشعر في مصر، ص٢٨، د. نجوى معتصم أحمد، الغزل في الشعر المصري، ص٣٤.

(٢) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٧٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١١، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٢٦.

(٤) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٤٢٩.

(٥) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٦٥.

وكان من دواوين الإدارة ديوان خاص تصدر عنه الرسائل والمكاتبات يُسمَّى ديوان الإنشاء[١]، والواقع أنَّ ديوان الإنشاء ازدهر نشاطه منذ عصر الطولونيِّين[٢]؛ فقد كتب القلقشندي في هذا أنَّ الحالة الأولى لديوان الإنشاء بمصر "ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة الطولونيَّة... فلم يكن لهم عنايةٌ به، ولا صرف همَّة إليه؛ للاقتصار على المكاتبات لأبواب الخلافة والنزر اليسير من الولايات ونحو ذلك؛ ولذلك لم يصدر ما يُدوَّن في الكتب، ولا يتناقَل بالألسنة"، أمَّا الحالة الثانية "فما كان عليه في الدولة الطولونيَّة من ابتداء ولاية أحمد بن طولون، واستِفحال مُلك الديار المصريَّة في الإسلام وترتيب أمرها وإلى حين انقراض الدولة الإخْشيديَّة، وفي خِلال ذلك ترتَّب ديوان الإنشاء بها، وانتظم أمر المكاتبات والولايات"[٣].

وتقول الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف: "ويبدو أنَّ الأمير الإخْشيدي كان له ديوانٌ للإنشاء على رأسه كاتبٌ أو أكثر من كاتب، وأنَّ الكاتب لم يكن يعمَل في تحرير الرسائل فحسب، بل كان يقوم بما يدخل في عصرنا الحالي في أعمال رئيس الديوان أو السكرتير الخاص"[٤].

---

(١) ويُسمَّى أيضًا ديوان الرسائل.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٦٥.
(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٩٥.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٦٥.

obeikandl.com

" وكان هناك عددٌ من الكُتَّاب في ديوان الإخْشيديين، ويبدو هذا واضحًا حينما طلَب الإخْشيد من كُتَّابه ردًّا على رسالة ملك الروم، فاختار منها كتاب النجيرمي"[1].

وأوَّل مَن نعرفه من كُتَّاب الإخْشيد علي بن محمد بن كلا، وقد كان كاتب الإخْشيد في دمشق قبل قدومه مصر، فقد أرسَلَه الإخْشيد إلى بغداد ليطلب من الخليفة القاهر ولاية مصر، فردَّ القاهر بأنَّه قد ولَّى عليها محمد بن تكين[2].

ويبدو أنَّ كلا لم يكن من رجال القلم فقط، بل كان من رجال السيف كذلك، أو لم يكن بعيدًا عنهم كلَّ البُعد[3]، فقد أوفَدَه الإخْشيد على رأس عَساكره إلى الشام بعد قتل ابن رائق[4]، ويبدو أنَّ الإخْشيد رأى بعد ذلك أنَّ هذا الكاتب قد جمَع ثروة طائلة، فارتاب في أمره، وصادَر أمواله وقبض عليه في سنة ٣٣٣هـ، ولكنَّه أطلق سراحَه بعد ذلك[5].

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٢٦.
(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٥٦.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مرجع سابق، ص١٦٦.
(٤) ابن سعيد، مرجع سابق، ص١٨٠.
(٥) المصدر السابق، ص١٦٥.

obeikandl.com

ومن كُتَّاب العصر الإخْشيدي محمد بن عبدالرحمن الروذباري، وكان يُعاوِن الفضل بن جعفر بن الفرات، وقد خلفه في أعماله حين سافر ابن الفرات إلى بغداد[1].

كما كان علي بن صالح من كُتَّاب كافور، والكاتب البغدادي سهل بن محمد، وأبو الحسن بن جابر، وكان يكتب لعبيدالله بن طغج الإخْشيد[2].

وقد جاء إلى الفسطاط علي بن محمد بن نصر بن بسام، وهو أحد الكُتَّاب المشهورين، وكان يتمتَّع بحسن البديهة والشاعريَّة، وكان لا يَسلَم من لسانه أحدٌ، وهو من أهل بيت الكتابة، وله ديوان رسائل، وتقلَّد الديوان بمصر[3].

وكان على رأس الكُتَّاب في العصر الإخْشيدي الكاتب إبراهيم بن عبدالله بن محمد النجيرمي، فقد أخَذ النحو عن الزجَّاج، وأخَذ عنه بعض المصريين ومنهم: أبو الحسن المهلبي، وجنادة اللغوي، فقد كان هذا الكاتب خبيرًا بعلوم العربيَّة[4]، وكان من إنشائه الكتاب الذي أرسله الإخْشيد إلى المانوس ملك الروم[5]، وكان قد ورد إلى الإخْشيد

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٦٧، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية، ص٤٢٧.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص٤٢٧.
(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة، انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ج١٤، ص١٣٩.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، انظر: د. صفي علي محمد، مرجع سابق، ص٤٢٧، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٧.
(٥) د. سيدة إسماعيل كاشف، مرجع سابق، نفس الصفحة.

"كتاب المانوس عظيم النصرانيَّة يفتخر فيه، ويزعُم أنَّ له المنَّة عليه في خطابه؛ إذ جرت عادته ألا يخاطب إلا خليفة"[1]، فقُرِئَ هذا الكتاب على الإخْشيد، فطلب من كتَّابه كتابةَ ردٍّ له، فكتب نفرٌ منهم واختار الأمير الردَّ الذي أعدَّه النجيرمي، فأرسله إلى المانوب، وقد أعجب النجيرمي نفسه بالكتاب، فنسَخ منه عدَّة نسخ، وأرسلها إلى العراق يتباهَى بها[2]، ولأنَّنا نتحدَّث هنا عن النثر في ذلك العصر، فلا بُدَّ من ذِكر ذلك الكتاب لما له من أهميَّةٍ كبيرة في تاريخ الإخْشيديين، ويُعدُّ دليلاً على تفوُّقهم في فن النثر[3].

حيث يقول كاتبه:

"من محمد بن طغج الإخْشيدي أمير المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم ومَن يليه، سلامٌ بقدر ما أنتم له مستحقُّون، فإنَّا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أنْ يُصلِّي على محمَّد عبده ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أمَّا بعدُ:

فقد ترجم لنا كتابك مع نقولا وإسحاق رسوليك، فوجَدْناه مُفتتحًا بذِكر فضيلة الرحمة، وما نهي عنَّا إليك، وصحَّ من شيمنا فيها لديك، وبما نحنُ عليه من المعدلة، وحسن السيرة في رعايانا، وما وصلت به هذا

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٦٧، انظر: د. محمد أحمد زيور، العلاقات بين مصر والشام، ص٢٨٦.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٢، انظر: د. حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٤٣٧.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٦٧ - ١٧٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص١٠ - ١٨، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١١ - ٣١٨.

obeikandl.com

القول من ذكر الفداء، والتوصُّل إلى تخليص الأسرى إلى غير ذلك ممَّا اشتَمَل عليه وتفهَّمناه..."[1].

وهذه الرسالة تُظهِر مَدَى ثقافة النجيرمي التاريخيَّة، وتنوع مصادرها[2]، وللنجيرمي رسالة في قلم، بعث بها إلى أبي عمران بن رباح الكاتب، يقول فيها: "إنَّه لما كان القلم مطيَّة الفكر والبيان، ومخرج الضمير إلى العيان، ومستنبطًا ما تُوارِيه ظُلَمُ الجنان إلى نور البيان... وجالب الفكر، ومفرق الجلائب، عماد السلم، وزناد الحرب، ويد الحدثان، وخليفة اللسان، ورأس الأدوات، التي خصَّ الله بها الإنسان، وشرَّفَه على سائر الحيوان... وقياسًا لهندسةٍ عقلية، ومصدر العقل العاقل أو جهل الناقل إلينا حكم الأوَّلين، وحامِلِها عنَّا إلى الآخَرين...."[3].

وللنجيرمي بعضُ الكتب منها: إيمان العرب في صيغ القسم[4]، وكتاب الأعالي[5]. ولم يكن النجيرمي من كتاب الرسائل فحسب، ولكنَّه كان ينظم الشِّعر في بعض الأوقات، فقد دخَل الفضل بن عباس على كافور الإخْشيدي، فقال له: أدام الله أيامِ (بكسر الميم في أيام)،

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٦٧، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص١٠، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١١ - ٣١٨، انظر القسم الخاص بالملاحق في آخِر البحث.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١١.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٢٨.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٥٨.
(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٢٣٣.

فتبسَّم كافور إلى أبي إسحاق النجيرمي، وقد فهم النجيرمي أنَّ كافورًا الإخْشيدي قد لاحظ هذا اللحن في القول، فأنشد يقول[1]:

لاَ غَـرْوَ أَنْ لَحَـنَ الـدَّاعِي لِسَـيِّدِنَا أَوْ غَـصَّ مِـنْ هَيْبَـةٍ بِـالرِّيقِ أَوْ بَهَـرِ
فَمِثْـلُ سَـيِّدِنَا حَالَـتْ مَهَابَتُـهُ بَـيْنَ البَلِيـغِ، وَبَـيْنَ القَـوْلِ بِالْحَضَـرِ
فَإِنْ يَكُـنْ خَفَضَ الأَيَّامَ عَنْ دَهَشٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، لاَ مِنْ قِلَّةِ البَصَرِ
فَقَـدْ تَفَاءَلْـتُ فِـي هَـذَا لِسَـيِّدِنَا وَالْفَـأْلُ مَـأْثُورَةٌ عَـنْ سَـيِّدِ البَشَـرِ
بِـأَنَّ أَيَّامَـهُ خَفْـضٌ بِـلاَ نَصَـبٍ وَأَنَّ دَوْلَتَـهُ صَـفْوٌ بِـلاَ كَـدَرِ[2]

ومـن الأدبـاء الـذين ظهَـرُوا في عصـر الإخْشـيدي (سـيبويه المصـري)[3]، فقـد امتـازَ بنثـرٍ غنـيٍّ بالسـجع الـذي يُشـبه سـجْع الكهَّان، ولكنَّ بعضَ هذا النثر خفيف على السمع، والصنعة الفنيَّة ظاهرة فيه.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٥، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٨، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٨، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح إلى نهاية العصر الإخشيدي، ص٤٤٥، د. محمود مصطفى، الأدب العربي في مصر، من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، ص١٦٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٣) هو أبو بكر محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي المعروف بسيبويه المصري، ولد سنة ٢٨٤، وتوفي سنة ٣٥٨، وكتب عنه ابن زولاق يقول: "كانت فيه خِلالٌ تشبه المتقدمين والمتصدِّرين، كان يحفظ القرآن، ويعلم كثيرًا من معانيه وقراءاته وغريبه وإعرابه وأحكامه عالمًا بالحديث وغريبه ومعانيه وبالرواة... ويعرف من النحو والغريب ما لقب بسببه سيبويه، ويعرف صدرًا من أيَّام الناس والنوادر والأشعار، وتفقَّه على قول الشافعي، ويبدو أنَّ أحد الشيوخ الذين درس عليهم سيبويه أدرك أنَّه يطلب العلم لوجه الله، فقال له يومًا: لو كان كلُّ مَن سمع مني مثلك لما استحللت أنْ أكتتم، وكنت أنا أمضي إليهم.

وكان سيبويه يحضر مجالس العلم في الجامع العتيق، وعند عِلِيَة القوم، وفي سُوق الورَّاقين، ثم اعتلَّ بمرض السواد، وقيل: إنَّه وقَع في بئرٍ فأصابه مسٌّ من الخبل أو الشذوذ، وأصبح يعدُ من عقلاء المجانين حتى عُنِيَ ابن زولاق - وكان زميلاً له في

وكان سيبويه من تلاميذ أبي بكر محمد بن أحمد بن الحداد فقيه مصر، وقد وصل إلى درجة عالية ومكانة رفيعة في الأدب، وتمتَّع بفكاهةٍ في المنادمة أنَّ جالس أنوجور بن الإخْشيد والحسين بن محمد الماذرائي[1]، وكان يقول بالاعتزال، فقد قال لأستاذه ابن الحداد ذاتَ يومٍ: أيَّدك الله امتنعت من القول بخلق القرآن، وجعلت الخالق عدَد آي المصحف! وبدا كأنَّ ابن الحداد لم يفهم ما أراد سبيويه فقال: كيف قلت يا أبا بكر؟ فقال: نعم! إذا لم تقل أنَّه مخلوق فهو خالق، فقال له أبو بكر بن الحداد: لا تُدخِلني فيما لا أعرف[2].

وقيل: إنَّ سيبويه رأى الناس يومَ الجمعة، قد اجتمعوا في الطرقات، فصاح: ما هذه الأشباح الواقفة والتماثيل العاكفة؟ سلط عليهم قاصفة، يوم ترجف الراجفة، تَتْبعها الرادفة، وتغلي قلوبهم واجفة! فقال له رجلٌ: هو الإخْشيد ينزل إلى الصلاة، فقال: هذه للأصلع البطين، المسمن البدين، قطع الله منه الوتين[3]، ولا سلك به ذات اليمين! أمَا كان يكفيه صاحب ولا صاحبان، ولا حاجب وحاجبان، ولا تابع

الدرس - بجمع أخباره وتسجيل جزء من نثره ونظمه المرتجل، وأخباره مع الأمراء ووجوه القوم في عصره، ولا سيما مَن تناولهم بالنقد اللاذع والتهكُّم المر، انظر: الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٧ - ١٩، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٩، ٣٢٠، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص٤٣١.

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩.

(٢) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٩.

(٣) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (و ت ن).

ولا تابعان، لا قَبِلَ الله له صلاة، ولا قرَّب له زكاة، وعمر بجيشه الفلاة[1].

وقد ذكَر الحسن بن زولاق في كتابه "أخبار سيبويه المصري" كثيرًا من مثل هذه المقولات، فقد امتاز سيبويه بنثر غني بالسجع، وكان له شعرٌ سهل، ولكنه فقير إلى الصور الشعرية العالية[2]، ومن ذلك قوله:

وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا زَادَتْ فَوَاضِلُهُ عَلَى نَوَاقِصِهِ تَخْتَرْ بِقِسْطَاسِ
وَاقْصِدْ إِلَى العِلْمِ لاَ تَطْلُبْ بِهِ بَدَلاً فَالْعِلْمُ مِنْ أَجْلِهِ كُوِّنْتَ فِي النَّاسِ
وَانْبِذْ مَقَالَةَ مَنْ يَنْهَاكَ عَنْ نَظَرٍ نَبْذَ الطَّبِيبِ لِدَاءِ القُرْحَةِ الآسِي[3]

ثالثا: النحو واللغة:

اللغة والنحو من أهمِّ عُلوم اللسان العربي التي تطوَّرت وازدهرَتْ في مدينة الفسطاط، والنحو يظهَر بشكلٍ طبعيٍّ على لسان كلِّ متكلم؛ لأنَّ الإنسان يستخدم النحو وهو يتعلَّم النطق لكي يُحسِن التعبير عن أفكاره[4].

(١) الحسن بن زولاق، مصدر سابق، ص٢٨.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مرجع سابق، ص٣٢١، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص٤٣٢.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٢٠.
(٤) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص١٤٨.

وقد تطوَّرت الدراسات اللغويَّة والنحويَّة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فقد ازدهرت العلوم وتطوَّرت[1]، وفي هذا القرن تخلَّص علم اللغة من طريقة الفُقَهاء حتى من الناحية الشكليَّة؛ فقد شعر علماء اللغة في هذا القَرن بأنهم في حاجةٍ إلى منهج يسيرون عليه، وإلى اتِّباع طريقة منظَّمة في تناوُل مادَّة بحثهم[2].

وتُشِير كثيرٌ من الأدلَّة إلى انتشار اللغة العربيَّة في مصر في القرن الرابع الهجري[3]، وقد ظهَر بوضوحٍ نُفور الناس من اللحن؛ فقد اعتبَرَه كثيرٌ منهم نوعًا من اللحن والعيب الكبير، ومن ذلك "أنَّ الفضل بن عباس دخَل على كافور فقال له: أدام الله أيَّامِ مولانا "بكسر الميم" فأنكر كافور ذلك، فقام رجلٌ من الحاضرين، وهو النجيرمي، وأنشد معتذرًا عن لحن الفضل بن عباس، عسى أن يعفو كافور:

لاَ غَـرْوَ أَنْ لَحَـنَ الـدَّاعِي لِسَـيِّدِنَا أَوْ غَـصَّ مِـنْ هَيْبَـةٍ بِـالرِّيقِ أَوْ بَهَـرِ
فَمِثْـلُ سَـيِّدِنَا حَالَـتْ مَهَابَتُـهُ بَـيْنَ البَلِيـغِ، وَبَـيْنَ القَـوْلِ بِالْحَضَـرِ
فَإِنْ يَكُـنْ خَفَضَ الأَيَّامَ عَنْ دَهَشٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، لاَ مِنْ قِلَّةِ البَصَرِ
فَقَـدْ تَفَاءَلْـتُ فِـي هَـذَا لِسَـيِّدِنَا وَالْفَـأْلُ مَـأْثُورَةٌ عَـنْ سَـيِّدِ البَشَـرِ

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص٢٢٠.
(٢) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٤١٧.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ص٧٧، ٧٨.

بِـأَنَّ أَيَّامَـهُ خَفْـضٌ بِـلاَ نَصَـبٍ وَأَنَّ دَوْلَتَـهُ صَـفْوٌ بِـلاَ كَـدَرِ[1]

وهذا الموقف يدلُّ على أنَّ الناس - وعلى رأسهم الولاةُ - كانوا يعدُّون اللحن والخطأ في اللغة من العُيوب التي تعيب صاحبها، ويدلُّ أيضًا على وجود الذوق اللغوي عند الكثير منهم.

وكان هناك علماء قد توفَّروا على اللغة والنحو في مدينة الفسطاط في العصر الإخْشيدي، ويأتي على رأس هؤلاء أبو العباس بن ولاد، وأبو جعفر النحاس[2].

وكان ابن ولاد - أبو العباس - أحمد بن محمد بن الوليد التميمي المصري نحويَّ مصر، وقد ظلَّ بها يفيد ويُصنِّف إلى أنْ مات سنة ٣٣٢هـ[3]، وهو من أسرة بني ولاد التي توفَّر أهلها على اللغة والنحو، وقد أخذ العلم على أيدي علماء الفسطاط، فسمع من أبيه، ثم رحل إلى بغداد، فأخذ عن الزجاج[4]، وكان الزجاج يُفضِّله على ابن النحاس، ويثني عليه عند مَن يقدم بغداد من المصريين، فكان يقول: "عندكم

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٨٥، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٨، د. صفي علي محمد، مرجع سابق، ص٤٤٥، د. حسن إبراهيم حسن، كافور الإخشيدية، ص٣٨، ٣٩، مجلة كلية الآداب، المجلد الثالث، ج١، مايو، ١٩٤٢م، مطبعة جامعة القاهرة، ط٢، ١٩٥٣م.

(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٦.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٢٢٨، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٦، د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٨، د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٢٢.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٦، انظر: د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٨.

تلميذ من صفته كذا وكذا... فيُقال له: أبو جعفر النحاس؟ فيقول: بل أبو العباس بن ولاد"[1].

وقد اشتدَّت المنافسة بينه وبين مُعاصِره أبي جعفر النحاس[2]، وكان لابن ولاد مجالسه العلميَّة التي كان يرتادها طلاب العربيَّة، وكان عبدالله بن يحيى بن سعيد الشاعر المصري أحد مَن لازَموا مجلس ابن ولاد وأخذوا عنه[3]، وكان ابن ولاد على جانبٍ كبيرٍ من العلوم العربيَّة بصيرًا بالنحو خبيرًا بأسرار اللغة عارفًا لتراكيبها ومفرداتها، وقد ألَّف كتاب "الانتصار لسيبويه"، وكتاب "المقصور والممدود"[4]، وهو مُرتَّب على حروف المعجم، ويُعالِج مشكلات الكلمات المقصورة والممدودة، ويذكُر طريقة هجائها ويحصر مفرداتها، وكانت له آراء في كيفيَّة تقعيد القواعد وفي أصول النحو تُعَدُّ من أنضج ما قيل في هذا الموضوع[5].

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٢٢٨، انظر: د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٦.

(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٧.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٧٢، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٧.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٦، انظر: د. محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص١٣٨، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٧.

(٥) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٤٧.

obeikandl.com

العلوم العقلية

- حركة النقل والاقتباس وأثرها في ازدهار العلوم العقلية.
- الطب والأخباء.
- وظيفة خبيب البلاط.
- البيمارستان الأسفل.
- علم الفلك.
- علم الهندسة المعمارية.
- مقدمة في ماهية التاريخ وأهميته.
- النهضة العلمية في القرن الرابع الهجري وأثرها في تتابع حلقات التاريخ المصري.
- المؤرخون في عهد الدولة الإخشيدية:
  - ابن يونس.
  - الكندي.
  - الحسن بن زولاق.
  - سعيد بن البطريق.

obeikandl.com

أولا: حركة النقل والاقتباس وأثرها في ازدهار العلوم العقلية:

العلوم العقليَّة هي العلوم الفلسفيَّة العقليَّة أو علوم الأوائل التي نُقِلتْ إلى اللغة العربيَّة من اللغات الأخرى؛ مثل: الطب والعلوم الطبيعيَّة والرياضيات[1]، ومن الطبيعي أنْ تختلف العلوم العقليَّة عن العلوم النقليَّة في المنهج؛ حيث اعتمد أصحابُ العلوم العقليَّة على معقوليَّة الحقائق وامتحانها مُتَّخذين إمَّا سبيل المنطق وإمَّا التجريب العلمي، فهم يُجرِّبون أولاً ثم يحكُمون بالصواب أو الخطأ[2]، وقد تحدَّث ابن خلدون في مقدمته عن العلوم العقليَّة قائلاً: "إنَّ العلوم العقليَّة هي العلوم التي يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشريَّة إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووُجوه تعليمها، حتى يُفقِّه نظره، ويحثُّه على الصواب من الخطأ فيها"[3]، وكانت العلوم العقليَّة محدودةً إذا ما قُورِنت بالعلوم النقليَّة، وخاصَّة في بداية الحياة الفكريَّة والعقليَّة"[4].

فإلى جانب الحركة الدينيَّة المتمثِّلة في عُلوم القرآن الكريم والحديث الشريف، والحركة الأدبيَّة المتمثِّلة في الشِّعر والنثر وعلوم اللغة العربيَّة، كانت هناك حركة عقليَّة تتمثَّل في العلوم الفلسفيَّة العقليَّة التي تشمَل الطب والنجوم والهندسة المعمارية والإلهيَّات وغيرها من

(١) د. صفي على محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص١٠٩.
(٢) المصدر السابق، ص١٢٤.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، الفصل الرابع، ص٤٣٥.
(٤) د. صفي علي محمد، مصدر سابق، ص١١٠.

العلوم العقليَّة[1]، "وهي بقيَّةٌ من بَقايا مدرسة الإسكندريَّة، وكانت لا تزال باقيةً في مصر، يتعلَّمون لغتها، ويبحَثون فيما أتَتْ به من دين، فاتَّجهت أكثر الثقافات إلى الاشتغال بالدِّين الإسلامي وعلومه واللغة العربيَّة وعُلومها"[2].

ويُمثِّل عصرُ الدولة العباسيَّة أعظمَ الفترات التي وصَلتْ فيها العلوم العقليَّة إلى قمَّة تطوُّرها؛ فقد استقرَّت حركة الفتوح الإسلاميَّة الكبرى في عهد هذه الدولة، وقد أخَذتْ هذه الدولة تنهَل من مناهل الثقافة الأجنبيَّة، وكذلك فقد ساعَد دخول الموالي في أحضان الدولة العباسيَّة في أنْ يكون هذا العصر هو العصر الذهبي في تاريخ حركة الترجمة والنقل من علوم الأوائل؛ فقد استَطاعوا لإتقانهم السريانيَّة واليونانيَّة أنْ ينقلوا إلى اللغة العربيَّة كلَّ ما كان معروفًا في العلوم الفلسفيَّة والعقليَّة عن سائر الأمم المتمدِّنة[3].

وكانت بغداد مقصدَ العلماء ومركز العلوم العقليَّة؛ بسبب تشجيع الخلفاء، ولكنَّ الوضع تغيَّر بعد أنْ ضَعُفتْ هذه الدولة، واستقلَّت عنها كثيرٌ من الدول، التي بدَأتْ تهتمُّ بالعلم والعلماء إلى أنْ أصبحت تنافس دار الخلافة نفسها في مجال العلم، وكانت الدولة

---

(١) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٧٣، ١٧٤.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٠.

الإخْشيديَّة واحدةً من هذه الدول التي اهتمَّت بالحركة العلميَّة بأنواعها: الدينيَّة والأدبيَّة والعقليَّة[1].

فقد كان عصرُ الدُّوَل المستقلَّة بمصر: الدولة الطولونيَّة ٢٥٤هـ - ٢٩٢هـ) والدولة الإخْشيديَّة (٣٢٣ - ٣٥٨هـ) يُمثِّل أهمَّ فترات ازدهار العلوم العقليَّة؛ فقد عاصَرتْ هاتان الدولتان فترات النُّضوج الفكري للدُّوَل الإسلاميَّة؛ فقد شَهِدَ النصف الثاني من القرن الثالث والقرن الرابع الهجريَّين نهضة علميَّة شملت كلَّ الأمصار الإسلاميَّة، حيث استقرَّت العلوم، ونشَأ التمييز بينها، وقطعت حركة الترجمة خُطوات واسعة في طريق التقدُّم، حيث بدَأ العرب يَرتادُون ميادينَ الطب والرياضيَّات والفلسفة، وساعَد على ذلك حالة الاستِقرار السياسي التي شهدَتْها الأمصار الإسلاميَّة[2].

وقد كانت الإسكندريَّة وما تَزال حتى عصر الدولة الإخْشيديَّة مركزًا للعُلوم العقليَّة رغم تَراجُع العمران البشري عنها وتركيزه في مدينة الفسطاط، ولكن الفسطاط أيضًا قد ضمَّت كثيرًا من العلوم العقليَّة المتأثِّرة في بعض مظاهرها بعُلوم الإسكندريَّة[3]، ولذلك نقول: إنَّ النهضة في العلوم العقليَّة قد وصَلتْ إلى درجة كبيرة من الازدهار والتقدُّم في عهد الدولة الطولونيَّة، ثم استمرَّت هذه النهضة أيضًا في عهد الدولة

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٧٦، انظر: أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص٩١، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٧٦، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠١.

(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٢، انظر: د. أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص٨.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٩٥ - ٦٠٠.

الإخْشيديَّة، وخاصَّة أنَّه قد توفَّر لهذه الدولة مجموعة من الحكام، عملوا على تشجيع العام وأهله، حيث مدوا إليهم يد العون، وقدَّموا لهم الهدايا والأموال، وقد عرفنا ممَّا سبق أنَّ كافورًا كان يُقرِّب إليه العلماء والأدباء، وكان بلاطه مجمعًا لهم، وكان يُنافِس في ذلك بلاط سيف الدولة الحمداني، وكذلك بلاط الخليفة العباسي.

ثانيًا: الطب والأخباء:

كان الطبُّ على رأس العُلوم العقليَّة في مصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة، وقد وُجِدَ عددٌ من الأطباء في عهد الدولة، وكان أمهر هؤلاء الأطبَّاء من أهل الذمَّة[1]، ومنهم:

١ـ أبو الفرج الباسلي:

وكان هذا الطبيب هو الطبيب الخاص لمحمد بن طغج الإخْشيدي، وكان الإخْشيد يَثِقُ فيه ثقةً عمياء؛ ولذلك فلم تكن مهمَّة هذا الطبيب تنحَصِر في عِلاج الإخْشيد فقط، ولكنَّه كان يشرف أيضًا على الأطعمة التي تقدم للإخْشيد، وكان للإخْشيد يصحبه في أسفاره[2].

٢ـ نسطاس بن جريج:

وكان هذا الطبيب نصرانيًّا، وكان عالمًا بصناعة الطب، وكان حسن البصارة بالماء، وكانت له رسائل عديدة، منها الرسالة التي أرسَلَها إلى يزيد بن رومان النصراني الأندلسي، وكانت هذه

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٣.
(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٢٢.

الرسالة في البول، وله في الطبِّ كتابٌ حسن[1]، ويعدُّ ما فعله نسطاس بن جريج مع زيد بن رومان من أروع الأمثلة التي تدلُّ على وجود تبادل علمي بين أطباء الفسطاط وأطباء الأمصار الأخرى[2].

ويبدو أنَّ مهنة الطب كانت - كغيرها من المِهَن - قائمَّة على ثورات هذه المهنة أبًا عن جد، فقد كان لسعيد بن توفيل، الذي عاصَر الدولة الطولونيَّة - ابنًا نابغة في الطب، وقد وجد ذلك أيضًا في عصر الدولة الإخْشيديَّة، فقد كان لنسطاس بن جريج ابن يُدعى أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج، وكان مسيحيًّا، وقد برع أبو يعقوب في الطب، وعمل في خِدمة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الفاطمي[3].

٣ـ البالسي:

وكان من الأطباء الذين عاصَروا الدولة الإخْشيديَّة، وخاصَّةً في عهد كافور الإخْشيدي، ولهذا الطبيبِ كتابٌ "اسمه" التكميل في الأدوية المفردة، وقد ألَّف هذا الكتاب لكافور الإخْشيدي[4].

٤ـ سعيد بن بطريق:

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٣، ص١٤١، دار الثقافة، بيروت، ط٣، (١٩٨١م - ١٤٠١هـ)، انظر: ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي المعروف بابن جلجل)، طبقات الأطباء والحكماء، ص٨٢، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، د. صفي على محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٤.

(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٨.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٥.

(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٤.

"كان البطرك الملكاني سعيد بن بطريق افتيشيوس المتوفَّى سنة ٣٢٨هـ حاذقًا في ميدان الطب إلى جانب مكانته كمؤرخ، وكان نصرانيًّا مشهورًا عارفًا بعلم صناعة الطب، وكانت له درايةٌ بعلوم النصارى ومذاهبهم[١]، وقد عُيِّن بطريركًا على الإسكندريَّة، وله كتبٌ في الطب، وقد ترجَمَ كتاب "الحيوان"؛ لأرسطو، وترجم أيضًا كتاب "السماء والعالم"؛ لأرسطو أيضًا[٢]، وكان له ابنٌ نابغة في الطب[٣].

"وكان لبعض الأطبَّاء في ذلك العصر (سكرتيرون) أو مديرو أعمال، وكانوا يتسلَّمون أجورَ العلاج، كما يتبيَّن من وثيقةٍ على ورق محفوظة الآن في مجموعة الأرشيدوق راينر في فينا، تتطلَّب أمرًا من طبيب إلى سكرتيرة، بأنْ يكتب لشخصٍ اسمه حسين بن شعيب وصل بالنقود التي دفعها للطبيب نظير تشريطه"[٤].

وظيفة تخبيب البلاط:

كانت هذه الوظيفة من الوظائف الرئيسة في بلاط الدولة الإخْشيديَّة، ومن الأطبَّاء الذين قاموا على هذه الوظيفة الطبيب أبو الفرج الباسلي، الذي كان يُقيم في قصر الأمير محمد بن طغج الإخْشيدي، وكان يصحَبُه في أسفاره كلَّما سافر إلى مكانٍ ما، ولم تكن مهمَّة هذا الطبيب الإشراف على علاج الأمير فحسب، ولكنَّه كان يشرف

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٤.
(٢) أ. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، ص١٧٤.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٥.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٦٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٠٣.

على شتَّى أنواع الطعام، الذي كان يُقدَّم إليه، ويمنَع ما لا يصلح منها لحالة الأمير الصحيَّة[1].

وممَّا يدلُّ على أهميَّة هذه الوظيفة ما رواه طبيب الإخْشيد أبو الفرج الباسلي ونقلَه ابن سعيد: "قال: اشتهى الإخْشيد بقرية فعُمِلت له، وكان رسمي إذا قُدِّمت المائدة إليه أنْ أقف في طريق الطعام، فأرف على كلِّ لون يقدم، فأردُّ ما أرى ردَّه، وأصلح ما أراه أرسله إليه، فجاؤوا ذلك اليوم بالقرية، فكشفتها وأزلت منها ما يصلح إزالته، فأخَذَها كافور بيده، وأدخلها إليه، ولم يكن رسمه أن يحمل طعامًا، فلمَّا خرج، قلت له: ما يزيدك الله بهذا إلا رفعة، فقال لي: كانت شهوة مولاي لها قويَّة، فأحببت أنْ أدخُل أنا بها..."[2].

وهذه الرواية تدلُّ على أنَّ أبا الفرج الباسلي كان الطبيب المشرف على طعام الإخْشيد، وأنَّ هذا العمل كان بتكليفٍ من الإخْشيد نفسه.

٥ـ المارستان الأسفل:

كان أحمد بن طولون قد أمَر في سنة ٢٥٩هـ ببناء مارستان للمرضى، وقد وصَل ما أنفقَه عليه ستين ألف دينار، وكان هذا البيمارستان يُعرَف بالبيمارستان الأعلى أو البيمارستان العتيق بمصر، وكان لهذا البيمارستان أوقافٌ عديدة، وكان يخصص دخل هذه الأوقاف كلها للإنفاق عليه وعلى شؤونه وضمان بقائه، ويبدو أنَّ هذا

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٥١.
(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٨٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص١٣٠.

البيمارستان كان مخصصًا للعامَّة فقط، وقد بلَغ من عناية ابن طولون بهذا البيمارستان أنَّه كان يركب بنفسه في كلِّ يوم جمعة، ويتفقَّد خزائن البيمارستان وما فيها من الأطباء، وينظُر إلى المرضى وسائر الأعلاَّء والمحبوسين والمجانين[1].

وقد قام كافور الإخْشيدي ببناء مارستان، وهو قائمٌ بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الإخْشيد، وذلك سنة ٣٤٦هـ، فعرف باسمه[2]، وكان هذا المارستان يسمى المارستان الأسفل؛ تمييزًا له عن المارستان الطولوني، وقد حبست لهذا البيمارستان الأوقاف كما حبست للبيمارستان الطولوني أو الأعلى؛ لكي يصرف من دخلها عليه[3].

ويبدو أنَّ شأنَ البيمارستان الأعلى الطولوني قد ضعُف بعد بناء هذا البيمارستان، فقد نقلت إليه بعض أمتعته[4].

وكان يبذل للأطبَّاء الأجور والعَطاء من جانب الولاة والأمراء، وكان لهم أيضًا جراية لطعامهم إلى جانب أُجورهم الماديَّة، وكانت المرتَّبات تُقدَّر على حسب درجات هؤلاء الأطبَّاء، فقد رأى الفُقَهاء أنَّ هذه العلوم العقليَّة هي علوم يجوزُ تعلُّمها لكسب المال والجاه[5].

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦١٠ - ٦١١.
(٢) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٦٧، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦١١.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦١٢.
(٤) المصدر السابق، ص٦١٢.
(٥) المصدر السابق، ص٦١٣.

وكان لبعض الأطباء أدوية معيَّنة يعدُّونها بأنفسهم، وكذلك كان البعض منهم يستخدم علم النفس في العلاج، وهي وسيلةٌ لَجَأ إليها الطبُّ الحديث[1].

ثالثا: علم التنجيم:

هو فرعٌ من فُروع علم الفلك، ويُطلَق عليه أيضًا "علم النجوم التعليمي" وهو الذي يُعَدُّ في العلوم وفي التعاليم، ويخلو من عِبارات العرافة والزجر وأشباه ذلك ممَّا تخصُّ به صناعة التنجيم، ويعدُّ المسعودي ذلك العلم فرعًا من فروع علم الرياضيات[2].

ومن أهمِّ فُروع علم التنجيم "علم الزيجات والتقاويم" الذي يتعرَّف منه مقادير حركات الكواكب لا سيَّما السبعة السيَّارة، وتقويم حركاتها، وإخراج الطوالع، وكذلك فهو ينتفع به في معرفة موضع كلِّ كوكب إلى فلكه وإلى فلك البروج وانتقالها ورجوعها واستقامتها وتشريقها وتغريبها وظهورها وخفائها، وهو ما يُعرَف بظاهرتي: "الكسوف والخسوف"، والغرض من معرفة هذه الأمور هو معرفة الساعات والأوقات وفصول السنة وسمت القبلة وأوقات الصلاة[3].

ومن العلماء المصريين الذين عاصَروا الدولة الإخْشيديَّة في مصر، والذين نبَغُوا في علم التنجيم "أبو الحسن علي بن عبدالرحمن بن يونس بن عبدالأعلى الصريفي" المصري المنجم الذي توفي سنة ٣٨٩هـ، وكان هذا العالم مختصًّا بعلم النجوم ومُتصرِّفًا في سائر العلوم بارعًا في

---

(١) المصدر السابق، ص٦٠٦.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦١٨.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، الفصل السادس عشر، ص٤٤٨.

الشعر، وقد اختصَّ أبو الحسن بصُحبة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وألَّف له الزيج الكبير، وهو كتابٌ يختصُّ بحساب سير الكواكب، ويختصُّ باستخراج التقويم، وهذا الكتاب يدلُّ على أنَّ صاحبه كان أعلم الناس بالحساب والتسيير في ذلك الوقت[1].

وقد قال صاعد بن أحمد الذي تُوفِّي سنة ٤٦٢هـ: "وعلى عبدالرحمن بن يونس لزيج يحيى بن أبي منصور تعويل أهل مصر في تقويم الكواكب إلى اليوم؛ أي: في أيَّام صاعد بن أحمد، وكان يعيشُ في القرن السابع الهجري[2].

ووجود هذا العالم فقط يدلُّ على عدم انتشار علم التنجيم في مصر الإخْشيديَّة، ويدلُّ أيضًا على قلَّة مَن اشتغل به.

١ـ مقدمة في ماهيَّة التاريخ وأهميَّته:

إنَّ تاريخ كلِّ شيء من حيث اللغة، كما عرَّفَه محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٦هـ) هو غايته ووقته الذي ينتهي إليه، فالتاريخ إذًا هو الإعلام بالوقت[3].

وكلمة "تاريخ" تعني في الاصطلاح: الزمن والحقبة، وهذا المعنى لم يظهَرْ في الأدب الجاهلي، ولا في القُرآن الكريم، ولا في الأحاديث

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦١٨.
(٢) المصدر السابق، ص٦١٨.
(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتاب، ج٣، ص٢١٤، ت: محمد بهجة الأثري، القاهرة، (١٣٤١هـ) انظر: د. السيد عبدالعزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٧، مؤسسة شباب الجامعة، بالإسكندرية، (١٩٩٩م).

obeikandl.com

النبويَّة، ولم يستخدم لأوَّل مرَّة إلا منذ أنْ أدخل الخليفة عمر بن الخطاب التقويم الهجري[1].

وتذكُر الروايات أنَّ الخليفة عمر بن الخطاب أراد وضْع تاريخ للناس، يتعامَلون به؛ لتصبح أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من مُعامَلاتهم، فاتَّفق الصحابة على أنْ يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من وقت أو تاريخ هجرة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - لأنَّ وقت الهجرة لم يختلف فيه أحدٌ، بخلاف وقت مبعثه، فإنَّه مُختَلَفٌ فيه، وكذلك وقت ولادته ليلة وسنة، وأمَّا وقت وفاته فهو وإنْ كان معينًا فلا يحسن عقلاً أنْ يجعل الأصل لمبدأ التاريخ، وأيضًا فوقت الهجرة هو وقت استقامة ملَّة الإسلام، واستيلاء المسلمين، فهو ما يتبرك به، ويعظم وقعُه وأثره في النفوس، وبدؤوا بأوَّل السنة وهو المحرَّم؛ لأنَّه كان أوَّل هلال استهلَّ بعد البيعة والعزم على الهجرة، وأصبح هذا التاريخ يعرف بتاريخ الهجرة[2].

"ومنذ أنْ وضَع عمر بن الخطاب تقويمًا ثابتًا - وهو التاريخ الهجري - أصبح عنصرًا حيويًّا في نشأة الفكرة التاريخيَّة، ومنذ ذلك الوقت أصبح توقيت الحوادث أو تاريخها العمود الفقري للدراسات التاريخيَّة"[3].

---

(١) د. سيد عبدالعزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٨، ١٩، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨١.

(٢) د. سيد عبدالعزيز سالم، التاريخ المؤرخون العرب، ص١٨، ١٩، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨١.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨١.

ثم تطوَّر مدلول الكلمة، واكتسبت كلمة تاريخ معنى "الكتب التاريخيَّة"، ويمكن القول بأنَّ الكلمة أصبحت راسخة الكيان في الاستعمال منذ القرن الثاني الهجري[1].

وعندما صار التاريخ عِلمًا كسائر العلوم المدونة كالفقه والنحو والبيان وغير ذلك ثبت الاحتياج إليه، كما ثبت الاحتِياج إلى ما عَداه من العلوم، وأنَّه واجبٌ تعلُّمه على سبيل الكفاية وجوب سائر العلوم بضبط زمن المبدأ والميعاد، وبارتباطه الشديد بالدراسات الدينيَّة"[2].

"وقد اكتسبت كلمة تاريخ هذا المعنى باستعمالها للدلالة على كتبٍ تحتوي على أزمنةٍ، فالكتب التاريخيَّة التي ليس فيها أزمنةٌ لم تكن في الأصل تسمَّى كتب تاريخ، ومجموعات التراجم تدخُل في عداد كتب التاريخ؛ لأنَّها تذكر تواريخ الوفاة والولادة لبعض الشخصيَّات التي ترجمت لها"[3].

ولقد ارتبطَتِ الكتابة التاريخيَّة منذ بدايتها في صَدر الإسلام بالعلوم الدينيَّة ارتباطًا وثيقًا، فكان المؤرِّخون الأوَّلون يكتبون في السيرة النبويَّة وفي المغازي وفي نسب قريش، وفي الطبقات وفي التراجم لرجال العلم والفقه والحديث، ولا شكَّ فيه أنَّ القرآن قد أكَّد على أمثلة الشعوب الماضية البائدة؛ لما فيها من عِبَرٍ دينيَّة ومواعظ خلقيَّة[4].

---

(١) د. سيد عبدالعزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٣.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨١.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨٢.
(٤) د. السيد عبدالعزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص٢٦.

ولقد جمَع كثيرٌ من أئمَّة المسلمين والمؤرِّخين الأوائل بين الفقه والتاريخ؛ فكان الطبري العظيم وابن كثير يجمعان بين التفسير والتاريخ، وكذلك كان الحافظ الذهبي مُؤرِّخًا وفقيهًا وحافظًا في آنٍ واحد[1].

والتاريخ كلُّه حوادث فيها من العِبرة الموعظة والدروس والتجربة ما يُفِيد المطَّلِع عليها والقارئ فيها[2]، وقد أشادَ البهاء محمد ابن القاضي في قصيدةٍ له بفضل التاريخ وبيان منزلته في القرآن الكريم، حيث جاء في قصيدته:

وَبَعْدُ فَالتَّارِيخُ وَالأَخْبَارُ عِلْمٌ لَهُ فِي المِلَّةِ اعْتِبَارُ

وَقَدْ كَفَى فِيهِ مِنَ البُرْهَانِ مَا جَاءَنَا مِنْ قَصَصِ القُرْآنِ[3]

وقد رأى المصريون في التاريخ جانبًا مهمًّا من جوانب الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة؛ ولذلك فقد عُنُوا به عنايةً بالغة، كما عُنُوا بالقراءات والتفسير والحديث واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم، وقد نشَأت بمصر مدرسةٌ تاريخيَّة تَبوَّأَتْ مكانةً بارزة في تاريخ الحركة الفكريَّة؛ لأنَّها ارتبطت بالفتح الإسلامي، الذي يعدُّ نقطة تحوُّل خطيرة في تاريخ البلاد كلها[4]، وقد اهتمَّت هذه المدرسة بسِيرة الرسول - صلَّى الله عليه

---

(١) المصدر السابق، ص٢٦، ٢٧.
(٢) المصدر السابق، ص٢٨، ٢٩.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨٢، ٤٨٣.
(٤) د. فتحية النبراوي، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ص١٦٣، دار الآفاق العربية بالقاهرة، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٨٣.

وسلَّم - ومغازيه، التي كانت تقومُ وتعتمد على الرواية الشفهية، ثم ظهرت بعد ذلك كالمؤلَّفات في تاريخ مصر القومي[١].

رابعًا: علم الكلام:

لقد انتَقلتْ من العراق إلى مصر في القرن الثالث الهجري صورةٌ من خلافات المتكلِّمين، وذلك منذُ بعَث المأمون إلى ولاة الأمصار بمنشوره، الذي أمر فيه بأخْذ العلماء والقضاة بخلق القرآن، وقد ورَد كتاب المأمون علي كيدر والي مصر سنة ٢١٨هـ، فامتحن قاضيها وفُقَهاءها، وقالوا بخلق القرآن"[٢].

وكان أمر المحنة سهلاً في ولاية المعتصِم، فلمَّا مات وقام الواثق سنة ٢٢٧، ورد كتابه على محمد بن أبي الليث القاضي بمصر، فأمَر بامتحان الناس أجمع فلم يبقَ أحد من فقيه ولا محدِّث ولا مؤذِّن ولا معلِّم حتى أُخِذَ بالمحنة، فأجابَه كثير من الناس، ومُلِئت السُّجون بمَن أنكَرُوا المِحنة، وأمَر ابن أبي الليث بالاكتتاب على المساجد بفسطاط مصر (لا إلا إله إلا الله رب القرآن المخلوق)[٣].

وكان ذو النون المصري من الذين عُذِّبوا، واقرُّوا بالمحنة، فقد هرب ثم رجع وأقرَّ بالمحنة[٤].

---

(١) د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٦٤، ١٦٧، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٤٩٧.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٩.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في يعصر الإخشيديين، ص٣٠٩، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٢٤.

(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٢٥.

obeikandl.com

واستمرَّ أمر المحنة حتى ورد كتاب المتوكل على هرثمة يأمُر بترك الجدال في القُرآن سنة ٢٤٣هـ[١].

ومن المتكلِّمين بمصر في عصر الدولة الإخْشيديَّة سيبويه المصري - أبو بكر محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي (٢٨٤هـ - ٣٥٨هـ)، الذي اشتهر بالجدل والكلام، وأخَذ علم الاعتزال عن أبي علي محمد بن موسى القاضي الواسطي، وكان وجْه المتكلِّمين بمصر"[٢].

وبذلك فقد شهدت مصر في العصرين الطولوني والإخْشيدي بعض مَن يعتنقون مذهب الاعتزال[٣].

وروى ابن زولاق أنَّ سيبويه المصري كان معتزليًّا، وكان يُظهِر الكلام في الاعتزال في الطرق والأسواق، وكان الناس يتحمَّلون ذلك منه لاعتقادهم أنَّه لم يكن سليم العقل تمامًا، وروى الحسن بن زولاق أنَّ سيبويه أخَذ علم الاعتزال عن أبي علي محمد بن موسى القاضي الواسطي، وكان وجْه المتكلِّمين بمصر، ويروي أنَّ سيبويه كان يوم الجمعة في سوق الورَّاقين في جمعٍ كبير، وفي الحاضرين أبو عمران موسى بن رباح الفارس المتكلِّم أحد شيوخ المعتزلة المشهورين، وكان سيبويه يصيح ويقول: الدار دار كفر، أحسبكم أنَّه ما بقي في هذه

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٠، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٢٥.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٢٥.
(٣) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣١٠.

obeikandl.com

البلدة العظيمة أحدٌ يقول: القرآن مخلوق، إلا أنا وهذا الشيخ أبو عمران - أبقاه الله - فقام أبو عمران يعدو حافيًا؛ خوفًا على نفسه حتى لحقه رجل ببغله[1].

وكان منصور بن إسماعيل الفقيه الشافعي قد تعرَّض للاضطهاد لأنَّه أظهر علم الكلام[2].

خامسًا: الهندسة المعماريَّة:

تُثبِت المنشآت العمرانيَّة الكثيرة التي ترجع إلى العصر الإخْشيدي أنَّ فنَّ العمارة كان مُتقدِّمًا في هذا الزمن، وأهمُّ هذه المنشآت قصر المختار والبستان الذي شيَّدَه الإخْشيد في جزيرة الروضة سنة ٣٢٥، وقد روى ابن زولاق قصَّة هذا البستان قائلاً: "إنَّ الإخْشيد قال لصالح بن نافع أنَّه أراد منذ تمَّت له إمارةُ مصر أنْ ينقل دار الصناعة من جزيرة الروضة، وأنْ يجعل موضعها بستانًا يُسمِّيه المختار، ثم أمره أنْ يخرج إلى الجزيرة؛ ليعدَّ مشروع هذا البستان مع دارٍ كبيرة تُقام فيه، وأنْ يقدر ما يلزم لذلك من النفقات، فخرج صالح بن نافع مع بعض الرجال الذين لهم دِرايةٌ بمثْل هذه الأمور، وخطوا تصميم البستان والقصر، وألحقوا بهما دارًا للحرس ودارًا للغلمان وخَزائن للطعام والملابس والفرش، وعرضوا هذا التصميم على رُقعةٍ كبيرة من الورق على الإخْشيد، فأُعجِب به، وسأل عن نفقاته، فقيل له: ثلاثون ألف

(١) الحسن بن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص١٨، ١٩، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، ص٣١٠، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٢٦.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٦٢٦.

دينار، فاعترض الإخْشيد على ذلك المبلغ، وقال أنَّه يريد الاقتصاد من نفقات المشروع، وبالفعل انخفض هذا الرقم إلى خمسة آلاف دينار[١].

ويبدو أنَّ الإخْشيد كان شديدَ العناية بتجميل حاضرة ولايته؛ فقد ذكرت المراجع التاريخيَّة أنَّه أنشأ بستانًا آخر شمالي الفسطاط عُرِفَ بعد ذلك باسم البستان الكافوري، وأنَّه عُنِي به، وجعل له أبوابًا من حديد، وأنَّه كان ينزل به ويُقيم فيه أيامًا كاملة[٢].

وكذلك فإنَّ من العمائر الإخْشيديَّة التي تُنسَب إلى الإخْشيد مستشفى أو مارستان كان يعرف باسم المارستان الأسفل تمييزًا له عن المارستان الطولوني، ويقال: إنَّ كافورًا الإخْشيدي هو الذي شيَّده[٣].

وكذلك فإنَّ من المنشآت الرئيسة التي شُيِّدتْ في العصر الإخْشيدي "سبع سقايات"، شيَّدَها الوزير جعفر بن الفرات لسكَّان الفسطاط، حين أصبحوا يحتاجون في موسم الجفاف إلى جلب الماء من منطقة جزيرة الروضة، بسبب جَفاف الخلجان وانحسار مياه النيل إلى تلك المنطقة، وقد حفر هذا الوزير بئرًا لينقل منها الماء إلى السبع السقايات التي أنشأها، وحبسها لجميع المسلمين التي كانت تحيط الحمراء[٤].

---

(١) د. سيد إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٨٨، ٣٨٩.
(٢) المصدر السابق، ص٣٨٩.
(٣) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٦٧، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩٢.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٢٩٢.

سادسًا: النهضة العلميَّة في القرن الرابع الهجري وأثرها في تتابع حلقات التاريخ المصري:

لقد مرَّ التاريخ الإسلامي بثلاث مراحل: وقد أُطلِق على المرحلة الأولى منه مرحلة التدوين الأولى، وكان التدوين فيها يتَّسِم بالطابع الشخصي، وقد امتدَّت هذه المرحلة حتى مَطلَع القرن الثاني الهجري، وكان الاهتمام فيها مُتَّجِهًا نحو السِّيرة النبويَّة، أمَّا المرحلة الثانية فقد امتدَّت خلال القرن الثاني كله تقريبًا، واهتمَّ الإخباريون خِلالها بجمع أخبار الأحداث المختلفة والمواضيع المتنوعة كلها إلى جانب الاهتمام بالسِّيرة النبويَّة، ثم جاءت المرحلة الثالثة التي تتمثَّل في جميع الموضوعات التاريخية على أساسٍ من التسلسل الزمني[1].

ويُمثِّل القرن الرابع الهجري فترة حاسمة من تاريخ الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، فقد شهد هذا القرن النهضة الفكريَّة التي شملت الأمصار الإسلاميَّة كلها، وكان لهذه النهضة أسبابٌ عديدة؛ منها: أنَّ موجة الفتوحات الإسلاميَّة الكبرى قد هدَأتْ، وبدأ عصر الاستِقرار السياسي، ونشطت حركة الترجمة من الثقافات القديمة نشاطًا كبيرًا، كما شَهِدَ هذا القرن ظهور الإمارات المستقلَّة، التي تنافَست في ميدان العلم والمعرفة، وعملت هذه الإمارات على اجتِذاب أئمَّة الفكر، وكان العصر الإخْشيدي غنيًّا بالفُقَهاء والعلماء والأدباء والمؤرِّخين، وقد حظيت هذه الطوائف جميعها بتقدير الأمراء الإخْشيديين[2].

---

(١) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص٩٢ - ١٠٠.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٢٨.

وقد مهَّد القرن الثالث الهجري الطريق لما شهده القرن الرابع - الذي يُمثِّل الإطار الزمني للدولة الإخْشيديَّة - من تطوُّرٍ في فنِّ كتابة التاريخ وتحقيق استقلاليَّته كعلمٍ من العُلوم الإسلاميَّة الذي اضطلعَتْ فيه مصر بعبءٍ كبيرٍ لبنائه ووضع أُسُسِه وتطوير مناهجه وتوسيع مجالاته، حتى إذا أشرف القرن الرابع الهجري على الانتصاف طالعنا مؤرِّخ مصري كبير، قد أمسك بزمام الموضوع ليُسهِم بوضع إضافة حقيقيَّة لعلم التاريخ، وهذا المؤرخ هو الحسن بن زولاق، الذي عاصَر الدولة الإخْشيديَّة، فقد كانت جُهود مُؤرِّخي مصر الإخْشيديَّة استِمرارًا لجهود مَن كان قبلهم من أمثال ابن عبدالحكم، الذي استَطاع أنْ يُواصِل الكتابة بالرؤية المسنَدة مشيرًا إلى بعض مصادره[1]، ولكنْ على الرغم من أهميَّة كتاب ابن عبدالحكم "فتوح مصر وأخبارها" فإنَّنا لا نسمع عنه لفترةٍ طويلة من الزمن حتى ظهر في كتابات الكندي، الذي أفادَ من كتابات ابن عبدالحكم وكتابات أسرته[2].

سابعًا: المؤرخون في عهد الدولة الإخْشيديَّة:

لقد كان النصيب الأكبر لمصر في الثقافة الإسلاميَّة هو ما كتَبَه أبناؤها في التاريخ[3]، وفي عهد الدولة الإخْشيديَّة تتابعَتْ حلقات التاريخ المصري[4]، فقد نبَغ من المؤرِّخين المصريِّين في فجر الإسلام "ابن

(١) د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨١.
(٢) د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٧٨، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٢٣٥.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٦.
(٤) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٢٨.

عبدالحكم"، أمَّا العصر الإخْشيدي فقد أخرج من المؤرِّخين ابن يونس والكندي وابن زولاق[1].

١ـ ابن يونس:

هو الحافظ الإمام أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن الإمام يونس عبدالأعلى الصدفي المصري، وقد وُلِدَ ابن يونس في سنة ٢٨١هـ، وتُوفِّي في جمادى الأولى سنة ٣٤٧هـ[2].

ولم يخرج ابن يونس عن المناخ العلمي السائد في عصره، فقد نهل ابن يونس من العُلوم الدينيَّة السائدة فيها، فقد كان من أئمَّة المحدِّثين رغم أنَّ دائرة علمه لم تنهل من غير مصر، فلم يخرجْ عن مصر، ولم يسمع الحديث بغير مصر[3]، وكان العُرف قبل القرن الرابع الهجري لا يجيزُ لإنسانٍ رواية الحديث من غير لقاء رجاله ومن غير إجازةٍ مكتوبة تُخوِّله حقَّ الرواية[4].

وكان ابن يونس خبيرًا بأيَّام الناس مُطَّلِعًا على تواريخهم، وهو صاحب "تاريخ مصر"[5]، وقيل: إنَّه جمع لمصر تاريخين: أحدهما وهو الأكبر يختصُّ بالمصريين، والآخَر يشتمل على ذكر الغرباء الواردين

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٦.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٦.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٦.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥.
(٥) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية، ص٥٤٦.

على مصر[1]، ولهذين التاريخين ذيلٌ لابن الطحان فيهما معًا، وينسب إليه حاجي خليفة كتابًا في التاريخ باسم "العقيد في تاريخ الصعيد"[2].

وكتب ابن يونس كلُّها مفقودةٌ، ولكنَّا نجدُ بعض المقتطفات منها في كتب المؤرِّخين، فقد نقل عنه ابن حجرٍ فيما كتبه عن القضاة، ويبدو من هذه المقتطفات أنَّ الكلام على الحديث والمحدِّثين كان أساس ما كتَبَه ابن يونس في التاريخ[3].

ولكن يبدو أنَّ بعض مُعاصِري ابن يونس كانوا لا يَثِقُون بما يكتبه في التاريخ، وأنَّ البعض الآخَر كانوا يقومون بمهمَّة الدفاع عنه، ويتبيَّن هذا من الأبيات الآتية التي قِيلت في رثائه سنة٣٤٧هـ:

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا نَأْلُوكَ إِنْ نَشَرَتْ عَنْكَ الدَّوَاوِينُ تَصْدِيقًا وَتَصْوِيبَا
مَا زِلْتَ تَلْهَجُ بِالتَّارِيخِ تَكْتُبُهُ حَتَّى رَأَيْنَاكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبَا
نَشَرْتَ عَنْ مِصْرَ مِنْ سُكَّانِهَا عَلَمًا مُبَجَّلاً بِجَمَالِ الْقَوْمِ مَنْصُوبَا
كَشَفْتَ عَنْ فَخْرِهِمْ لِلنَّاسِ مَا سَجَعَتْ وُرْقُ الْحَمَامِ عَنِ الأَغْصَانِ تَطْرِيبَا
أَعْرَبْتَ عَنْ عَرَبٍ نَقَّبْتَ مِنْ نُخَبٍ سَارَتْ مَنَاقِبُهُمْ فِي النَّاسِ تَنْقِيبَا
أَنْشَرْتَ مَيِّتَهُمْ حَيًّا بِنِسْبَتِهِ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَمُتْ إِذْ كَانَ مَنْسُوبَا[4]

٢ـ الكندي:

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٦.
(٢) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٦.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٥، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٦.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٧.

كانت رواية ابن عبدالحكم أقدَمَ وثيقةٍ وصلَتْنا عن الفتح الإسلامي لمصر وقيام الدولة الإسلاميَّة فيها، وكانت هذه الرواية على مرِّ العصور مستقى لجميع مُؤرِّخي مصر الإسلاميَّة، والآن نعرض لجهود مُؤرِّخٍ مصري آخَر، يُعَدُّ من طليعة المتقدِّمين أيضًا، قد استأنف تدوين هذه الرواية في نَواحٍ خاصَّة، ووصل بمجهوده مجهودَ ابن عبدالحكم، هذا المؤرِّخ هو أبو عمر الكندي[1]، وهو أحد المؤرِّخين والرواة الذين ذاع صِيتهم واشتهروا في القرن الرابع الهجري، وسلَكوا في تدوين التاريخ طريق الرواية والإسناد[2]، وهو محمد بن يوسف بن نصير بن عمر التجيبي الكندي[3]، نسبةً إلى (تجيب)، وهم بطن قبيلة كندة الشهيرة[4]، الذين وفَدُوا إلى مصر وقتَ الفتح[5]، وقد وُلِدَ الكندي في فسطاط مصر في العاشر من ذي الحجة سنة ٢٨٣هـ (١٧ يناير سنة

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ومصادر التاريخ الإسلامي، ص٢١، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، (١٩٩٩م)، انظر: د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨٠.

(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢١، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٢٨.

(٣) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٨، سلسلة أعلام العرب رقم ٥٥، الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة، (د.ت) انظر: د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢١، د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٧، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨٠.

(٤) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢١، انظر: د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٨.

(٥) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢١، انظر: د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٨.

٨٩٧م)، وتُوفِّي بها في الثالث من رمضان سنة ٣٥٠هـ (١٥ أكتوبر سنة ٩٦١م)[١].

ورغم مَكانة الكندي العظيمة كمؤرِّخٍ، فإنَّه لم ينفصلْ عن المناخ العلمي، الذي كان سائدًا في عصره؛ فقد برز في الفقه والعلم والأخبار وأيَّام الناس وغيرها من العلوم، قال الفرغاني في "ذيل تاريخ شيخه الطبري" في ترجمة أبي عمر الكندي: "أنَّه كان من أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثُغوره، وله مُصنَّفات فيه وفي غيره من صُنوف الأخبار والأنساب، وكان من جملة أهل العلم بالحديث وغيره... وكان عارفًا بأحوال الناس وسير الملوك"[٢]، والراجح أنَّ الكندي تلقَّى عُلومه في مصر، فليس لدينا ما يدلُّ أو يُشِير إلى أنَّه رحَل إلى غيرها من البلاد[٣].

وعلى كلٍّ فقد انصرف الكندي إلى التاريخ والتأليف فيه، فكتَب فيه عددًا من الكتب، لم يصلْ إلينا معظمها، ولكنَّها كانت مَصدَرًا لكتبٍ أخرى، أُلِّفَتْ في موضوعها في العُصور التالية[٤]، على أنَّنا

---

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢١، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٧، د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٨، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨٠، د. صفي علم محمد، الحركة العلمية والأدبية، ص٥٢٩.

(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٢، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٢٩.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٧.

(٤)د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٣، انظر: د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٧، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨٠، د. حمدي عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٥٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٢٩.

obeikandl.com

قد ظفرنا بأهمِّ تراث الكندي، وهو "تاريخ ولاة مصر" أو أمرائها منذ الفتح الإسلامي إلى عصره، و"تاريخ قضاة مصر" منذ الفتح أيضًا إلى منتصف القرن الثالث، وقد وصَل الاثنان إلينا في مخطوطٍ واحد حصَل عليه المتحف البريطاني، ولم يصلنا سِواه كاملاً من آثار الكندي، بيد أنَّ كلا الموضوعين مستقلٌّ عن الآخَر، وكلاهما يَكُون بذاته كتابًا خاصًّا[1].

الكتاب الأول: "تسمية ولاة مصر":

ويُعرَف هذا الكتاب أيضًا بكتاب "أمراء مصر" أو كتاب "الأمراء" أو كتاب "الولاة"، وهو أحدُ أنواع التاريخ الإداري، حيث يتناوَل فيه الكندي تاريخ مصر من ناحيةٍ مُعيَّنة؛ هي ذكر الولاة الذي تعاقَبُوا على حُكم مصر من قبل الخلافة، منذ الفتح العربي الإسلامي إلى عصر المؤلِّف[2].

وكذلك يتناوَل الكندي في كتابه مَن ولي الصلاة ومَن ولي الحرب والشرطة، ومَن جُمِعَ له الحرب والصلاة، كما يذكُر في مُقدِّمة كتابه[3].

ويمكننا أن نستخلص من كتاب "الولاة"؛ للكندي الأحداث السياسيَّة التي أرَّخ لها على النحو التالي:

---

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٣.
(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٣، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٣.
(٣) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٣، ٢٤.

١ـ الفتح العربي لمصر:

حيث تحدَّث الكندي عن اتِّصال العرب بمصر قبل الفتح ومعرفة عمرو بن العاص بها عن طريق تجارته، ويتعرَّض الكندي للقصَّة الشائعة من حبس عمرو لكتاب الخليفة عمر بن الخطاب، لا يتلوه حتى نزل العريش، ثم يُشِير إلى فتح الفرما وغيرها من بلبيس وقتال الروم بها، ثم إلى أم دنين، وإلى حصن بابليون، والأمداد التي تلقَّاها المسلمون، وحِصار عمرو للحصن سبعة أشهُر ثم استيلائه عليه، ثم يُشِير إلى تحرُّك الجيش زاحفًا إلى الإسكندرية، ثم دخولها سنة ٢١هـ[١].

٢ـ عصر الراشدين:

حيث دخلت مصر بعد تمام الفتح دائرة النُّفوذ العربي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، الذي كانت سياسته الإدارية هدفها الرقابة الشديدة على الولاة، ويتحدَّث عن شروط اختيار الوالي، ثم تحدَّث عن نقض البيزنطيين هُدنة الإسكندرية، ويتحدَّث عن الفتنة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، والكندي يَسُوق أصحَّ الروايات وأصدقَها، ويتحدث عن انفِعال المصريين بأحداث الفتنة ومشاركتهم فيها، وأنَّ الأمر قد انتهى بمقتل عثمان، ثم تطرَّق إلى خِلافة علي - رضي اللّه عنه - والنِّزاع بينه وبين معاوية، وعلى استِيلاء معاوية على مصر وتولِّي عمرو[٢].

---

(١) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٨١، ٨٢.
(٢) المصدر السابق، ص٨٢ - ٨٨.

٣ـ الحكم الأموي في مصر:

فبعد أنْ قضى العرب نحو خمس سنوات في فتن وحروب داخليَّة متَّصلة بين عليٍّ ومعاوية، انتهى الأمر بانتصار معاوية وتولِّيه الخلافة بعد مَقتَل عليٍّ وتنازُل الحسن، وأوضح الكندي أنَّ هذه التطوُّرات جعَلتْ للعصر الأموي طابعًا خاصًّا ميَّزَه عن العصر السابق، فالخلافة لم تنتقلْ إلى الأمويين انتقالاً طبعيًّا، ولكنَّها قامت على القوَّة والاغتصاب، وأنَّ معاوية لم يكن أصلح الصحابة وأكثرهم، ولكنَّه استند في الحكم على وفرة الجند والمال، وانتهى الأمر بأخْذه البَيْعةَ لابنه يزيد.

وقد أعطى الأمويون الولاةَ سُلطةً مطلقة، وراقبوهم عن طريق البريد الذي تحوَّل في العصر الأموي إلى أداة مراقبة، وقد اعتمدوا على مواليهم في الحكم، وتحدَّث الكندي عن الثورات التي قامت ضدَّهم، ثم يشير إلى تعريب الدواوين، ثم إلى انهيار دولة الأمويين في عهد مروان بن محمد[1].

٤ـ الدولة العباسيَّة بمصر:

حيث كان ظُهور العباسيين ثورةً إسلاميَّة كبيرة لها مظاهرها السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، فقد أدَّى انتشارُ الإسلام إلى ظهور طبقات جديدة من المسلمين من غير العرب، لم يحصلوا على حُقوقهم المشروعة، فسخطوا على الأمويين وأيَّدوا الدعاة العباسيين، وكذلك فقد أدَّت السياسة الاقتصاديَّة الأمويَّة إلى كساد الحياة الاقتصاديَّة في العصر الأموي الأخير؛ ممَّا أدى إلى فَساد المحاصيل وانقطاع المواصلات،

---

(١) المصدر السابق، ص٨٩ ـ ١٠٦.

وكانت هذه الأزمات الاقتصاديَّة من وراء ثورات الناس ومحاولة تغيير الوضع القائم بمُناصَرة العباسيين، وكذلك فقد تطلَّع أفراد من الطبقة الوسطى من غير العرب إلى جمع الثروة، وكانوا يريدون أنْ يكون لهم في مجال السياسة نفس النُّفوذ الذي كان لهم في مجال الاقتصاد، وقد ساندت هذه الطبقة العباسيين، وظلَّ لهم السُّلطان السياسي طوال العصر العباسي، وتحدَّث الكندي عن سياسة العباسيين الإداريَّة، وأنَّ الدولة بدَأتْ تختار الولاة من الفُرس المسلمين أو من الأتراك، ثم وضَع الكندي المشاكل التي تعرَّض لها العباسيون حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، والقضاء على المقاومة الأمويَّة في مصر، ثم وضح الانشقاق بين العباسيين والعلويين، وثورة النفس الذكيَّة وأخيه إبراهيم ووصولها إلى مصر، وكذلك الصِّراع بين الأمين والمأمون، ثم تحدَّث الكندي عن مظاهر تفكُّك الحكومة العباسيَّة في مصر ابتداءً من عهد المأمون، واستِمرار هذا التفكُّك حتى النصف الثاني من القرن الهجري[1]، **وقد نتج عن ذلك محاولتان ناجحتان للاستِقلال هما:**

الأولى: الدولة الطولونيَّة، التي أسَّسَها أحمد بن طولون[2].

الثانية: الدولة الإخْشيديَّة التي أسَّسَها محمد بن طغج الإخْشيدي[3]؛ حيث تَقِفُ رواية الكندي عند وفاة محمد طغج الإخْشيدي (في ذي الحجة سنة

(١) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٠٣، ١٣٣، انظر: د. عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٤.

(٢) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٣٤.

(٣) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص١٥١، انظر: د. عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٤.

٣٣٤هـ)، ويختم "تسمية ولاة مصر" بهذه العبارة التي أُثبتت في المخطوط الوحيد الذي وصَل إلينا:

"وإلى هنا انتهى ما كتَبَه أبو عمر، واخترمته المنيَّة قبل إكماله، قال ذلك ابن زولاق في أوَّل كتابه "أخبار قضاة مصر"، وما بعد ذلك ليس من كلام أبي عمر"[١]

الكتاب الثاني: "تسمية قضاء مصر":

ولهذا الكتاب أسماء أخرى مثل: "القضاة الذين ولو مصر"، أو "أخبار قضاة مصر"[٢].

ويتناوَل تاريخ القضاة الذين تولَّوْا قضاءَ مصر منذ الفتح العربي إلى منتصف القرن الثالث (سنة ٢٤٦هـ)[٣]، وكان القاضي أحدَ ثلاثة أو أربعة سُلطات توكل إليهم الخلافة أمرَ الأقاليم المفتوحة: هم الأمير أو الوالي، وهو الحاكم الإداري والعسكري، ومُتولِّي الخراج، وهو مُتولِّي الشُّؤون الماليَّة، وهي مهمَّةٌ يتولاها الولاة أحيانًا، وصاحب الشرطة، وهو المشرِف على النظام والأمن، والقاضي، وهو المشرف على تنفيذ الشريعة والحكم بين الناس، ومقره في عاصمة البلاد، وله نوَّاب في النواحي[٤]، وموضوع القُضاة الذين تولَّوْا القضاءَ بمصر موضوعٌ مهم، وله دورُه في

---

(١) د. عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٤، ٢٥.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٨، انظر: د. عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٥، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٤.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٤، انظر: د. عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٥، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨٠، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٤.

(٤) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٦.

فهم نُظُمِ القضاء الإسلامي في عُصوره الأولى[1]، ولكنَّ الفضل يرجع إلى عبدالرحمن بن عبدالحكم، الذي عُنِي بذكر القضاة الذين تعاقَبوا على قضاء مصر منذ الفتح، حتى ولاية القاضي بكار بن قتيبة سنة ٢٤٦هـ (٨٦١م) ضِمنَ موضوعات كتابه "فتوح مصر وأخبارها"، وقد اتَّبع ابن عبدالحكم في ذِكرهم الترتيبَ التاريخي، ولكنَّه لم يذكر تواريخ التعيين إلا منذ القرن الثاني، وخاصَّة منذُ العصر الذي أدركته أسرته، ثم العصر الذي عاشَ فيه[2].

ثم سلَك الكندي نفسَ طريق ابن عبدالحكم، وكذلك فقد انتهى حيث انتهى، فقد بدأ من ولاية قيس بن أبي العاص أوَّل قاضي للإسلام بمصر في سنة ٢٣هـ إلى ولاية القاضي بكار بن قتيبة سنة ٢٤٦هـ[3]، ولا يوجد فرقٌ بين الروايتين إلا أنَّ الكندي كان أوسَعَ وأكثر تفصيلاً؛ فروايته من حيث الحجم خمسة أضعاف رواية ابن عبدالحكم تقريبًا[4]، وبالمقارنة يظهَرُ أنَّ الكندي قد اتَّخذ رواية ابن عبدالحكم أساسًا لكتابة، وأضاف عليها كثيرًا ممَّا استطاع أنْ يجمعه من التفاصيل والأخبار، وقد ذكر الكندي في سنده ابن عبدالحكم وغيره ممَّن روى عنهم ابن عبدالحكم؛ كيزيد بن أبي حبيب، وابن لَهِيعة، والليث بن سعد، وعثمان بن صالح، وسعد بن عفير، ويحيى بن بكير، ومن المؤكَّد أنَّ هذه الرواية بحلقاته المتعددة،

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢) د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٧٨.
(٣) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٦.
(٤) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٦.

لم يكن يعتمد في نقلها حتى عصر الكندي على السَّماع وحدَه، ومن المؤكَّد أنها دُوِّنتْ قبل ذلك بفترة[١].

وقد نهَج نهْج الكندي ونسَج على منواله مَن جاء بعده؛ ومنهم ابن زولاق وابن حجر العسقلاني وابن شاهين[٢].

٣ـ كتاب "فضائل مصر":

ظلَّ هذا الكتاب في طيِّ النسيان فترةً من الزمن، وظلَّ يُنسَب خطأ إلى الكندي، فقد ذكَرَه السيوطي ونسبه إلى الكندي في ترجمته، وذكَرَه المقريزي واقتبس منه، ولكنَّه في الحقيقة يُنسَب إلى ولد الكندي عمر بن أبي عمر[٣]، حيث ترى الدكتور سيدة إسماعيل كاشف ذلك وتقول: "ومن الأخطاء الشائعة أنَّ الكندي ألَّف كتابًا في "فضائل مصر"، ولكنَّ الحقيقة أنَّ صاحب هذا الكتاب هو ابنه عمر، وقد كتب في مقدمته أنَّ الذي أمَرَه بتأليفه هو كافور الإخْشيدي، وأشار إلى والده الكندي بين العلماء الذين جمَع من كتبهم ما أمَرَه به كافور، ثم ذكَرَه ثانيةً بين علماء مصر الذين برَع كلٌّ منهم في مذهبه، والذين لكلِّ واحدٍ منهم من الكتب المصنَّفة ما يعجز عن نظيرها سائرُ أهل الدُّنيا"[٤].

---

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٢٦، انظر: د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨١.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٨.

(٣) د. عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٢، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤١، د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٥.

(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٢.

obeikandl.com

ويُعَدُّ كتاب "فضائل مصر"؛ لعمر بن محمد بن يوسف الكندي بدايةَ تَطوُّرٍ مهمٍّ في تاريخ مصر القومي، وهو نموُّ الدِّراسات التاريخيَّة، ويُشِير إلى عِناية الحكَّام الإخْشيديين الشديدة والقويَّة بالدراسات التاريخيَّة من ناحية، وبمصر من ناحيةٍ أخرى، فقد جاء في مقدمة كتاب "فضائل مصر" ما نصُّه: "أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن الحسين ابن محمد الحنائي، بدمشق قال: كتب إلَيَّ أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي من مصر أنَّ محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن سعيد التجيبي أَذِنَ لهم في الرواية عنه، قال: أخبرنا عمر بن محمد بن يوسف الكندي، قال: هذا كتاب أمَر بجمعه، وحضَّ على تأليفه الأستاذ أبو المسك كافور - أطالَ الله بقاءه - يذكُر فيه أخبار مصر، وما خصَّها الله - تعالى - به من الفضل والبركات والخيرات على أكثر البلدان، فزاد الله الأستاذ في العلمِ رغبةً ولأهلِه محبةً..."[1].

ثم يذكُر المؤلف أنَّه استقى مادَّته العلميَّة عن الشُيوخ المصريين وغيرهم من أهل العلم والخبرة، ويذكر ضِمن هؤلاء علي بن حسن بن خلف بن قديد، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي[2].

وللكندي كتبٌ أخرى لم تصلْ إلينا، ولكنَّها كانت أساسًا لكتبٍ أخرى أُلِّفتْ في موضوعها في العصور التي تَلَتْ عصر الكندي، "وقد جاء

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٢، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٢.
(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٢.

ذِكْرُ هذه المؤلفات الخاصَّة بالكندي مع ترجمةٍ في حاشيةٍ من النسخة الأصليَّة، وجدت بصفحة ١٣٢ من المخطوط الأصلي وهو كتاب "الولاة" أو "تسمية ولاة مصر" أو "الولاة وكتاب القضاة""[١].

ومن المؤلفات التي نعرف أسماءَها، ولكنُها ضاعت فلم يصلنا منها شيء:

١ - كتاب "الأجناد العربيَّة": وقد أشار إليه ابن دقماق في "الانتصار" عند حديثه عن جامع عمرو بن العاص سنة ٨٩هـ، كما أشار إليه المقريزي في "الخطط"[٢].

٢ - كتاب "الخندق والتراويح": وقد أشار إليه المقريزي والسيوطي، ويبدو أنَّه يعرض لواقعة الخندق سنة ٦٥ أيَّام ابن الزبير وولاية ابن جحدم، وهو الخندق الذي حفَرَه ابن جحدم للدفاع عن الفسطاط، وكانت تلك الأيَّام تسمَّى أيَّام الخندق والتراويح؛ لأنَّ أهل مصر كانوا يُقاتِلون نوبًا، يخرج هؤلاء ثم يرجعون ثم يخرج غيرهم، قال عبدالرحمن بن عبدالحكم:

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا = بِنَاءُ التَّرَاوِيحِ وَالْخَنْدَقِ[٣]

٣ - كتاب "الخطط": ولم يثبتْ أنَّ أحدًا قد اقتَبَس منه، ولكنْ يبدو أنَّ مادَّةً كبيرةً من هذا الكتاب قد نقَلَها ابن دقماق في "الانتصار" عند حديثه عن مساكن الفسطاط وخططها، كما أشار إليه المقريزي في

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٢٩، ٥٣٠.

(٢) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٣، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣١.

(٣) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٣، ٤٤، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٢.

obeikandl.com

"خططه"، فذكر أنَّ الكندي كان أوَّل مَن كتَب في الخطط والآثار، ويبدو أنَّ ما ذكَرَه المقريزي عن معبد سمنود قد نقَلَه عن الكندي[١].

٤ - كتاب "أخبار مسجد أهل الراية الأعظم"[٢]: أشارَ إليه ابن دقماق والمقريزي، وهو يعرض للجامع العتيق، جامع عمرو بن العاص[٣].

٥ - كتاب "سيرة السري بن الحكم": وقد وردت الإشارة إليه في تراجم "المقفَّى"[٤].

٦ - كتاب "مروان بن الجعد": وقد أشار إليه ابن ميسر[٥].

٧ - كتاب "الموالي": تحدث فيه عن الموالي الذين ارتقَوْا في مصر، ونالوا المراتب العالية، فترجم لهم وكتب أخبارهم[٦].

ويذكر المؤرِّخون للكندي أنَّه ألف كُتُبًا أخرى، لا نستطيع أن نتحَقَّق من عناوينها على وجْه الدقَّة[٧].

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٨، انظر: د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٤، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٠.

(٢) المعروف أن أهل الراية خليطٌ من القبائل التي لم تكن ممثلة في جيش عمرو بن العاص تمثيلاً يسمح بأنْ تكون لها خطة مستقلة في الفسطاط، فجمعهم عمرو في خطة سماها أهل الراية.

(٣) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٤، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٢.

(٤) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٤.

(٥) د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٤، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣١.

(٦) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٨، انظر: د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٤، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٠.

(٧) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٨، انظر: د. حسن أحمد محمود، الكندي المؤرخ، ص٤٤.

أهميَّة تراث الكندي ومنهجه التاريخي:

يُعتَبر الأثر الذي بَقِيَ لنا من أعمال الكندي هو "كتاب الولاة وكتاب القضاة"، وهو صورة من أبرع صُوَرِ التاريخ المحلِّي، وكذلك فكتاب الكندي له أهميَّة خاصَّة في تاريخ التنظيم الإداري، وبه سجلٌّ حافل لتاريخ الولاة وللقضاة الذين تولَّوْا تلك المناصب الإدارية في مصر في الفترة التي تحدَّث عنها المؤرِّخ، ومن هنا فإنَّ أهميَّة الكتاب تكمُن في أنَّه يصلُ تاريخ مصر بحلقةٍ منفردة، لولاها لبقيَتْ ثغرة يَصعُب سَدُّها[1].

ويمضي "كتاب الولاة" بتاريخ مصر الإداري إلى أوائل القرن الرابع الهجري، وكيف يُقدِّم "كتاب القضاة" عن نُظُمِ القضاء الإسلامي وسيره إلى منتصف القرن الثالث صورًا وتفاصيل مهمَّة لم تأت بها رواية ابن عبدالحكم، وتراث الكندي يَكاد ينفرد بإلقاء الضوء على تاريخ مصر خِلال القرن الثالث، ولا سيَّما في العصر الذي أدرَكَه الكندي حتى قيام الدولة الإخْشيديَّة[2].

وقد لبث تُراث الكندي إلى جانب تُراث ابن عبدالحكم على مرِّ العصور مُستَقًى خصبًا لمؤرِّخي مصر الإسلاميَّة، وكان مؤلفه عن القضاء بالأخصِّ نواةً لمجهودٍ خاصٍّ في هذا الميدان اضطلع به جماعةٌ من أعلام المؤرخين المصريين مثل ابن زولاق، وابن حجر، والسخاوي، وهو

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٥.
(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٣.

مجهودٌ يُلقِي إلى جانب مجهود الكندي كثيرًا من الضوء على تاريخ القضاء الإسلامي في العصور الوسطى[1].

كما يُعتَبر "تاريخ الولاة" بمثابة تاريخٍ حولي، رتَّبَه المؤلِّف ترتيبًا تاريخيًّا زمنيًّا طبقًا لتسلسُل الولاة الذين تولَّوْا حكم مصر، مع ذِكر الحوادث التي وقعَتْ في عهد كلٍّ منهم، وسنة الولاية والعزل والوفاة[2].

ومن حيث المنهجُ التاريخي كان أسلوب الكندي في الكتابة كثيرَ الشَّبَهِ بأسلوب ابن عبدالحكم، فقد غلب عليه أسلوبُ المحدِّثين، فقد عُنِيَ بالسَّنَدِ والرواية وهو سَواء نقل الخبر من متنٍ مكتوب أو من مصدرٍ شفهي يقول: حدثني، ويَسُوق سلسلة الرُّواة، ويظلُّ الكندي يحرص على الرواية، ويسوقُها منسوبةً إلى السند إلى أوائل القرن الثاني الهجري، فتقلُّ سلسلة الرواة إلى أنْ يسقط الإسناد كليَّة، وتُساق الأحداث مباشرة دُون إسناد، ويظلُّ على ذلك إلى نهاية ما دوَّنَه سنة ٣٣٤هـ؛ أي: عند وفاة محمد بن طغج الإخْشيدي[3].

٣ـ الحسن بن زولاق:

كان في طَلِيعة المؤرخين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن زولاق الليثي المصري[4]، "وكان من أكثر مُؤرِّخي مصر الإسلاميَّة نشاطًا، وأوسعهم مادَّة، وأقدرهم على

---

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٣، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٥.

(٢) د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨٠، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٥.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣٦.

(٤) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨.

التـأليف"[1]، وقـد وُلِـدَ في الفسـطاط بمصـر في شـعبان ٣٠٦هـ (٩١٩م)، وتُوفِّي بها سنة ٣٨٧هـ (٩٩٨م)[2].

وكان الحسن بن زولاق من أسرةٍ لها باعٌ طويل في العلم[3]؛ ولذلك فقد نشأ في مهد العلم والدرس[4]، فكان جده الحسن بن علي بن زولاق من العلماء المشاهير[5]، وكان من أسرته أيضًا محمد بن زولاق أحد أقطاب العربيَّة في عصره[6]، وبدأ الحسن بن زولاق رحلة علمه بدراسة العلوم الدينيَّة[7]؛ فدرس الفقه على أبي بكر بن الحداد المتوفَّى سنة ٣٤٥هـ، هو من أعظم أئمَّة عصره في الفقه وغيره من العلوم الإسلاميَّة، ودرس الرواية التاريخيَّة على أبي عمر الكندي[8]، ثم خصَّ كأستاذه تاريخَ مصر بدرسه وبحثه[9].

"وترجع مكانة ابن زولاق التاريخيَّة إلى مُعاصَرته للدولة الإخْشيديَّة (٣٢٣ - ٣٥٧هـ)، وقد عاصَر ما تعاقَب عليها من حوادث إلى نهاية أُفُول نجم تلك الدولة وقيام الدولة الفاطميَّة (٣٥٨هـ)، وقد كتب

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨.
(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨.
(٤) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤.
(٥) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤، انظر: د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨.
(٦) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٥٤٨.
(٧) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨
(٨) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، انظر: د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨١، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٨.
(٩) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤، ٣٥، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨١.

في تاريخ هاتين الدولتين خيرَ ما يكتُب مُؤرِّخ بصفته التاريخيَّة، وباعتباره شاهد عيان لحوادث حدثَتْ في فترة حَياته"[1].

ومع أنَّنا لم يَصِلنا سوى القليلِ من تُراث ابن زولاق، فإنَّ ما انتهى إلينا من آثاره يدلُّ على أنَّ مجهوده التاريخي يمتازُ عن مجهود أسلافه بكثيرٍ من البراعة والدقَّة، واستكمال الرواية وحُسن التنسيق، وربما رجَع ذلك إلى أنَّه وقَف معظم درسه وبحثه على حوادث عصره، وقد يرجع أيضًا إلى أنَّه شهد الحوادث عن قُربٍ واتَّصل بالقائمين عليها[2].

واستَطاع ابن زولاق بما أُتِيحَ له من حُسن المشاهدة والاطِّلاع أنْ يُقدِّم لنا صورًا قويَّة ودقيقة عن مصر فقد اتَّصل ابن زولاق مثلاً ببلاط بني الإخْشيد، وكتب تاريخ الإخْشيد بطلب من ابنه أبي الحسن علي بن الإخْشيد، ثم اتَّصل بعدَ ذلك بالقائد جوهر الصقلي، وبالخليفة المعز لدين الله الفاطمي، فكان اتِّصال ابن زولاق برجال الدولة، ومشاهدته لأعمالهم وتصرُّفاتهم عن قُربٍ، وما اجتمع إليه من مَتانة الأسلوب وبراعة العرض أساسُ هذه الدقَّة التي تُميِّز مجهوده التاريخي[3].

ولابن زولاق كتابٌ في خطط مصر، وكتاب في أخبار قضاة مصر، جعَلَه ذيلاً على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألَّفَه في أخبار قضاة مصر، وانتهى فيه إلى سنة ٢٤٦هـ، فكمَّلَه ابن زولاق، وابتدأ بذكر القاضي بكار بن قتيبة، وختَمَه

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٩.
(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٤، ٣٥، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨١.
(٣) محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٥.

بذكر محمد بن النعمان، وتكلَّم عن أحواله إلى رجب سنة ٣٨٦هـ، وله كذلك كتاب سيرة الماذرائيين، وكتاب التاريخ الكبير على السنين، وكتاب سيرة كافور الإخْشيدي، وكتاب سيرة المعز، وكتاب سيرة العزيز، وأخبار سيبويه المصري، وكتاب سيرة الإخْشيد محمد بن طغج الإخْشيدي[١].

ولم يَصِلْنا من بين هذه المؤلَّفات التي تُشِير إليها كتبُ التراجم إلا كتابًا واحدًا هو "أخبار سيبويه المصري"، أمَّا المؤلفات الأخرى فقد عرَضْناها من خلال المقتبسات الموجودة في الكتب الأخرى، وهذه المقتبسات كافيةٌ للإحاطة بمجهوده التاريخي[٢].

أمَّا كتاب "الخطط" الذي أشار إليه ابن خلكان في ترجمته لابن زولاق فنراه يقول: "كان فاضلاً في التاريخ، وله فيه مُصنَّف جيد، وله كتاب في خطط مصر استَقصَى فيه..."[٣].

ولكنَّ المقريزي مثلاً لم يذكُر في مقدمة كتابه خطط ابن زولاق ضِمنَ الخطط التي ذكَرَها، فهو يذكُر الكندي، ثم يذكُر من

---

(١) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، انظر: د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٨ - ٤١، د. فتحية النبراوي، علم التاريخ، ص١٨١، ١٨٢، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٣٥.

(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، انظر: د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٥٤٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٣٥.

(٣) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٦، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٩.

بعده مباشرة القاضي أبا عبدالله محمد بن سلامة القضاعي المتوفَّى سنة ٤٥٧هـ[١].

أمَّا كتاب "سيرة الماذرائيين" فإنَّ المقريزي يشير إليه، ويقتبس منه أخبارًا كثيرة عن الماذرائيين[٢]، "وهذه السيرة المؤلفة عن الماذرائيين تتضمَّن سيرة مُنفَصِلة عن حياة عميد هذه الأسرة أبي بكر الماذرائي وابنه"[٣].

أمَّا سيرة الإخْشيد فقد كتَبَها ابن زولاق بتكليفٍ خاصٍّ من أبي الحسن علي بن الإخْشيد، وقد وصلت إلينا سيرة الإخْشيد مُلخَّصة أو منقولة في عنوان: "كتاب العيون الدعج في حلى دولة بن طغج"، وهو اسمُ السِّفر الذي عقَدَه أصحاب "المغرب" في كتابهم لتاريخ الأسرة التي وَلِيَتْ حكم مصر بين عامي (٣٢٣ - ٣٥٨هـ/٩٣٥ - ٩٦٩م)، وقد نقَل ابن سعيدٍ في كتابه "العيون الدعج" من كتاب "سيرة الإخْشيد"؛ لابن زولاق وغيره من الكتب، وقد أشار ابن سعيدٍ في بداية النقل عن سيرة الإخْشيد، فقال: "والنقل في ذلك من كتاب الحسن بن زولاق في سيرة محمد بن طغج وغيره من الكتب التي تأتي أسماؤها مذكورةً في أماكن الإحالة عليها"[٤].

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٤٩.
(٢) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٠.
(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٠.
(٤) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٤ - ٦، انظر: د. علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث، ص١٤٠، مكتبة النهضة =

أمَّا سيرة جوهر فقد أشار إليها ابن حجر أثناء حديثه عن القاضي أحمد بن قتيبة سنة ٣٢١هـ، وينقل عن هذه السيرة أخبارًا عن هذا القاضي[١]، ويقول بروكلمان: "إنَّ سيرة جوهر مستخرجة من أخبار الدولة المعزية"[٢]، وربما كان الاتِّصال بين جوهر وابن زولاق هو الذي دفَعَه إلى التوسُّع في سِيرته[٣].

أمَّا سيرة المعز لدين الله فقد أشار إليها المقريزي، ونقل عنها أخبارًا كثيرة، وكان المقريزي يذكُر اسم الكتاب مع نسبته إلى ابن زولاق فيقول: "قال الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز...."[٤].

أمَّا سيرة العزيز فلم يُشِرْ إليها سوى المقريزي[٥].

وتُوجَد ثلاث رسائل مخطوطة في مكتبة باريس تُنسَب إلى ابن زولاق، وتوجد رسالة مخطوطة رابعة في جوتا تُنسَب إلى ابن زولاق أيضًا تتعلَّق بتاريخ مصر حتى سنة ٣٤٩هـ، وقد عُنِي المستشرق جوتهيل ببحث هذه الرسالة وتحليلها، فانتهى إلى أنَّ إحدى رسائل باريس الثلاث لا يمكن أنْ تنسب إلى ابن زولاق بأيِّ حال؛ إذ ورد في سِياقها اسم ابن أبي

=المصرية، ط٣، (١٩٨٠م)، د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٠.

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥١.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص٨٤، ترجمة: د. عبدالحليم النجار، دار المعارف، ١٩٦٢م.

(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥١.

(٤) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٤١، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥١.

(٥) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٢.

obeikandl.com

الصلت أميَّة الأندلس المُتَوفَّى ٥٢٩هـ، ثم اسم المقريزي المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ، أمَّا الرسالتان الأخريان، فبينهما شبهٌ في المحتويات، وعنونت إحداهما وصفحاتها ثلاث وأربعون "كتاب مختصر فضائل مصر تصنيف الشيخ الأجل الإمام الحسن بن إبراهيم بن زولاق"، وخلاصة محتوياتها: ما ورد في القرآن الكريم خاصًّا بمصر، ومَن ولد بها من الأنبياء، وعجائبها، ونيلها، ومحاصيلها، ونبذة في تاريخها قبل الإسلام، وذكر مساجدها، والرسالة الثانية نحو نصف الأولى في الحجم، وتحتوي على مثل هذه الموضوعات مع نبذةٍ أخرى عن خَراج مصر، والموازنة بين مصر وبغداد، ورَخاء العيش فيها، وقد ذيَّلت هذه الرسالة بقصيدة لجمال الدين المصري المعروف بالحزار المتوفَّى سنة ٦٧٦هـ، في أمراء مصر[1].

بَقِيَ أنْ نتحدَّث عن الأثر الوحيد للحسن بن زولاق الذي وصَل إلينا كاملاً، وهو كتاب "أخبار سيبويه المصري"، وهو أثر أدبي يحتوي أخبار أحد أعلام الأدب في عصر ابن زولاق، ويُلقِي شيئًا من الضياء على بعض نواحي الحياة الأدبيَّة في هذا العصر، وسيبويه المصري هو: أبو بكر محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي المصري، وُلِدَ بالفسطاط سنة ٢٨٤هـ، وتُوفِّي سنة ٣٥٨هـ، وعُرِفَ بسيبويه لبراعته في النحو واللغة، وكان صديقًا لابن زولاق، وزميلاً له في الدرس عند ابن الحداد،

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٣٧، ٣٨، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٣ - ٥٧.

وكانت له أخبارٌ ومُلَحٌ ونوادر كثيرة عُنِي بها ابن زولاق، وجمعها في كتابٍ خاص[1].

وهذا الكتاب يُلقِي شيئًا من الضياء على بعض نواحي الحياة الأدبيَّة المصريَّة في النصف الأول من القرن الرابع، وعلى أحوال العلماء والأدباء ومنزلتهم في المجتمع المصري، وعلاقتهم برجال الدولة، وعلى حلقات الأدب في فسطاط مصر، وعلاقة الأدباء بعضهم ببعض، وكذلك فهو يُلقِي الضوء على بعض نواح من الحياة المصريَّة في هذا العصر[2].

المنهج التاريخي عند ابن زولاق وأهميَّته:

يتميَّز أسلوب ابن زولاق بما كان شائعًا بين مُؤرِّخي القرن الرابع الهجري من إسقاط السند الممل، فقد بدَأت المدرسة التاريخيَّة في مصر تدخُل في مرحلةٍ جديدة من البساطة، وقد بدأ بذلك الكندي، وكان الهدف من إسقاط السَّنَد في نظَر هؤلاء هو تقريب الخبر إلى مَن أراد، ويعتمد ابن زولاق في بعض الأحيان على الرواية الشفهيَّة التي ربما سمعها في مجالس العلم التي كانت تُعقَد في الفسطاط[3].

وترجع أهميَّة ما كتَبَه ابن زولاق إلى أنَّه يجمع بين التاريخ وشيءٍ من الأدب، وكذلك إلى أنَّه اتَّجه بمجهوده إلى نوعٍ من التخصص، فقد تناول تاريخ مصر في العصر الذي عاش فيه في توسُّع وإفاضة، فهو بذلك

---

(١) د. علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث، ص١٤١، انظر: د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٤٥، ٤٦.
(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٤٦، ٤٧.
(٣) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٧، ٥٨.

obeikandl.com

أوَّل مُؤرِّخ مصري آثر التخصيص على التعميم، وآثر حوادث عصره ورجال عصره بأكبر قدرٍ من مجهوده؛ لأنَّ مجهود ابن عبدالحكم والكندي يتَّجه كلاهما إلى التعميم، وإن لم يخلُ من بعض نواح خاصَّة[1]، بَيْدَ أنَّ مجهود ابن زولاق يصل مع ذلك مجهود سلفيِّه وتيمَّمه؛ بحيث نجدُ في مجهود المؤرخين الثلاثة سلسلة متَّصِلة في تاريخ مصر الإسلاميَّة منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطميَّة وعصر المعز لدين الله[2].

٤ـ سعيد بن البطريق:

وهو من المؤرِّخين المصريين الذين أدرَكُوا العصر الإخْشيدي، وقد تُوفِّي سنة ٣٢٨هـ، وهو البطريرك الرومي الملكاني إفتيشيوس، وكان طبيبًا مشهورًا بالفسطاط، ثم نُصِّبَ بطريركًا على الإسكندرية سنة ٣٢١هـ، وقد عُنِيَ بالتاريخ، وكتب فيه مؤلفًا مشهورًا هو "نظم الجوهر" أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، وتحدث فيه عن التاريخ منذ الخليقة إلى العصر الذي عاش فيه[3].

وأهمُّ ما يُميِّز تاريخ سعيد بن البطريق هو اهتمامه الخاص بالناحية اللاهوتيَّة، فيتحدَّث عن تاريخ الكنيسة والأحداث المتعلِّقة بالنصارى، فقد مزَج هذا المؤلف الدين بالتاريخ، فقد أشار للأحداث المهمَّة في تاريخ الكنيسة وتعيين رجالها، ولم يُشِرْ إلى حياة الرسول -

---

(١) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٤٧.

(٢) د. محمد عبدالله عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص٤٧، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٨.

(٣) د. سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٢٩، د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٩.

صلَّى الله عليه وسلَّم - وبعد الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - يتبع في التنظيم التأريخي حكم الخلفاء[1].

ورَد إلى الإخْشيد كتاب أرمانوس عظيم النصرانيَّة يفتَخِر فيه ويزعُم أنَّه له المنَّة عليه في خِطابه؛ إذ جرَتْ عادته ألا يُخاطِب إلا خليفة، فقُرِئَ الكتاب على الإخْشيد فتقدَّم بالجواب فأجاب عنه جماعة، فلم يخترْ إلا جواب إبراهيم بن عبدالله النجيرمي وكان عالِمًا بوُجوه الكتابة، **ونسخة الكتاب**:

"من محمد بن طغج مولى أمير المؤمنين إلى المانوس عظيم الروم ومَن يَليه، سلامٌ بقدر ما أنتم له مستحقُّون، فإنَّا نحمَد الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أنْ يُصلِّي على محمد عبده ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم.

أمَّا بعدُ، فقد تُرجِم لنا كتابُك الوارد مع نقولا وإسحاق رسولَيْك فوجَدْناه مفتتحًا بذِكر فضيلة الرحمة، وما نما عنَّا إليك وصحَّ من شيمنا فيها إليك، وبما نحن عليه من المعدلة وحُسن السيرة في رعايانا، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفِداء والتوصُّل إلى تَخلِيص الأسرى... إلى غير ذلك ممَّا اشتمل عليه وفهمناه.

فأمَّا ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فمن سديد القول الذي يَليقُ بذوي الفضل والنُّبل، ونحن - بحمد الله ونِعَمِه علينا - بذلك

---

(١) د. صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٥٥٩، محمد عبدالخالق عبدالمولى، جهود المؤرخين المسيحيين في مصر الإسلامية من القرن الأول إلى القرن السابع، دراسة موازنة، (رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص١٢٩.

عارفون، وإليه راغبون، وعليه باعثون، وفيه بتوفيق الله إيَّانا مجتهدون، وبه مُتواصُون وعالمون، وإياه نسأل التوفيق لمراشد الأمور وجوامع المصالح بمنِّه وقُدرته.

وأمَّا ما نسبته إلى أخْلاقنا من الرحمة والمعدلة فإنَّا ترغَبُ إلى الله - جلَّ وعلا - الذي تفرَّد بكمال هذه الفضيلة ووهَبَها لأوليائه، ثم أثابَهُم عليها، وأنْ يُوفِّقنا لها ويجعلَنا من أهلها، ويُسيِّرنا للاجتهاد فيها والاعتصام من زَيْغِ الهوى عنها، وعزَّة القوَّة بها، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفًا على طاعته وموجبات مرضاته؛ حتى نكون أهلاً لما وصفنا به، وأحق حقًّا بما دعونا إليه ومَن يستحق الزلفى من الله - تعالى - فإنَّا فقراء إلى رحمته، وحُقَّ لِمَن أنزَلَه الله بحيث أنزلنا، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا، وجمع له من سبعة الممالك ما جمع لنا، بمولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءَه - أنْ يبتهل إلى الله - تعالى - في معونته لذلك وتوفيقه وارتياده، فإنَّ ذلك إليه وبيده، ومَن لم يجعل الله نورًا فما له من نور.

وأمَّا ما وصفته من ارتفاع محلِّك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكاتبة لما يقتضيه عظم ملككم، وأنَّه الملك القديم الموهوب من الله الباقي على الدهر، وأنَّك إنما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققه من حالنا عندك، فإنَّ ذلك لو كان حقًّا وكانت منزلتنا كما ذكر به تقصر عن منزلة مَن تُكاتِبه، وكان لك في ترك مكاتبنا غنمٌ ورشدٌ، لكان من الأمر البيِّن أن أحظى وأشد وأولى بمَن حلَّ محلك أنْ يعمل بما فيه صلاح رعيَّته، ولا يرى وصمة ولا نقيصة ولا عيبًا، ولا يقع في مُعاناة صغيرة من

الأمور تَعقُبها كبيرة، فإنَّ السائس الفاضل قد يَركَبُ الأخطار ويَخُوض الغمار، ويعرض مهجته فيما ينفَع رعيَّته والذي تجشَّمته من مُكاتبتنا، إنْ كان كما وصفته، فهو أمرٌ سهل يسيرٌ لأمر عظيم خطير، وجلُّ نفعه وصلاحه وعائدته تخصُّكم؛ لأنَّ مذهبنا انتظار إحدى الحسنيين، فمَن كان منَّا في أيديكم فهو على بيِّنةٍ من ربه، وعزيمة صادقة من أمره، وبصيرة فيما هو بسبيله، وأنَّ في الأسارى مَن يؤثر من ضنك الأسر وشدَّة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لِحُسن مُنقَلَبه وحميد عاقبته، وبعلم الله - تعالى - قد أعاذه من أنْ يفتنه، ولم يعده من أنْ يبتليه، هذا إلى أوامر الإنجيل الذي هو أمامكم وما تُوجِبه عليكم عزائم سياستكم والتوصُّل إلى استنفاذ أُسَرائكم، ولولا أنَّ إيضاح القول في الصواب أولى بنا من المسامحة في الجواب، لأَضْربنا عن ذلك صفحًا؛ إذ رأينا أنَّ نفس السبب الذي من أجله سما إلى مكاتبة الخلفاء - عليهم السلام - من كاتبهم، أو عدا عنهم إلى مَن حلَّ محلَّنا في دولتهم، بل إلى مَن نزَل عن مرتبتنا هو أنَّه لم يثقْ من منعه، ورد ملتمسه ممَّن جاوَرَه، فرأى أنْ يقصد به الخلفاء الذين الشرف كله في إجابتهم، ولا عار على أحدٍ وإنْ جلَّ قدره في ردِّهم، ومَن وثق فبنفسه ممَّن جاوَرَه وجد قصده أسهل السبيلين عليه وأدناهما إلى إرادته حسبما تقدَّم لها مَن تقدم.

وكذلك كاتب من حل محلك من قصر عن محلنا، ولم يقرب من منزلنا، فمالكنا عدة كان يتقلَّد في سالف الدهر كلَّ مملكة منها ملك عظيم الشأن، فمنها مُلك مصر الذي أطغا فرعون على خطر أمره

حتى ادَّعى الإلهيَّة وافتخر على نبي الله موسى بذلك، ومنها لملك... للذي...] الإسكندر ومَن خلفه من اليونانيين.

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتابعيَّة، والأقيال الباهلة ملوك حمير على عظم شأنها وكثْرة عددهم، ومنها أجداد الشام التي فيها جند حمص وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها، ومنها جند دمشق على جلالته في القديم والحديث واختبار الملوك المتقدِّمين له.

ومنها جند الأردن على جلاله قدره وأنَّه دار المسيح - صلَّى الله عليه وسلَّم - وغيره من الأنبياء والحواريين.

ومنها جند فلسطين وهي الأرض المقدَّسة، وبها المسجد الأقصى وكرسي النصرانيَّة، ومعتقد غيرها ومحج النصارى واليهود طرًّا، ومقر داود وسليمان ومسجدهما.

ومنها مسجد إبراهيم وقبره وقبر إسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم - عليهم السلام - ومنها مولد المسيح وأمه وقبرها.

هذا إلى ما تتقلَّده من أمر مكَّة المحفوفة بالآيات الباهرة والدلالة الظاهرة، فإنَّا لو لم نتقلَّد غيرها لكانت بشرفها وعظم قَدرها وما حَوَتْ من الفضل تُوفِي على كلِّ مملكةٍ؛ لأنها محجُّ آدم ومحجُّ إبراهيم وأرثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم - عليهم السلام - وداره وقبره ومنبت ولده، ومحج العرب على مرِّ الحقب ومحل أشرافها وذوي أخطارها على عظم شأنهم وفخامة أمرهم، وهو البيت العتيق المحرَّم

المحجوج إليه من كلِّ فجٍّ عميق، الذي يعترف بفضله وقدمه أهلُ الشرف، مَن مضى ومَن خلف، وهو البيت المعمور، وله الفضل المشهور.

ومنها مدينة الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - المقدَّسة بتُربته، وأنها مهبط الوحي، وبيضة هذا الدين المستقيم الذي امتدَّ ظلُّه على البر والبحر والسهل والوعر، والشرق والغرب وصحاري الرعب، على بعد أطرافها وتنازح أقطارها وكثرة سكانها في حاضرتها وباديتها، وعظمها في وُفودها، وشدَّتها وصدق بأسها، ونجدتها وكبر أحلامها، وبعد مرامها وانعقاد النصر من عند الله برایاتها، وإنَّ الله - تعالى - أباد خضراء كسرى وشرَّد قيصر عن داره ومحلِّ عزِّه ومجده بطائفةٍ منها.

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسي من أعظم كراسيكم: بيت المقدس، وأنطاكية، والإسكندرية، مع ما إلينا من البحر وجزائره واستظهارنا بأتَمِّ العتاد.

وإذا وفَّيت النظر حقَّه علمت أنَّ الله - تعالى - قد أصفانا بجُلِّ الممالك التي ينتَفِع الأنام بها، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دُنيا وآخِرة، وتحقَّقت أنَّ منزلتنا بما وهَبَه الله لنا من ذلك فوق كلِّ منزلة، والحمد لله ولي كل نعمة، وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها على عظمها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيَّانا، كما كتبت إلينا وصحَّ عندك من حُسن السيرة، وبما يُؤلِّف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعيَّة على الطاعة واجتماع الكلمة، ويوسعها الأمن والدعة في المعيشة وبكسبها المودَّة والمحبَّة.

والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخِرًا، على نِعَمِه التي تفوت عندنا عدَّ العادين، وإحصاء المجتهدين، ونشر الناشرين، وقول القائلين، وشُكر الشاكرين، ونسأله أنْ يجعلنا ممَّن تحدَّث بنعمته عليه شُكرًا لها، ونشرًا لما منحه الله منها، وممَّن رضي اجتهاده في شُكرها، وممَّن أراد الآخِرة وسعى لها سعيها وكان سعيه مشكورًا، إنَّه حميد مجيد.

وما كنت أحبُّ أنْ أباهيك بشيءٍ من أمر الدنيا ولا أتجاوز الاستيفاءَ لما وهَبَه الله لنا من شرف الدين الذي كرَّمَه وأظهره، ووعدنا في عواقبه الغلبة الظاهرة والقدرة القاهرة، ثم الفوز الأكبر يومَ الدِّين، لكنَّك سلكت مسلكًا لم يجزْ لي أنْ أعدل عنه، وقلت قولاً لم يسعنا التقصير في جَوابه، ومع هذا فإنَّا لم نقصدْ بما وصفناه من أمرنا مُكاثَرتك، ولا اعتمدنا تعيين فضلٍ لنا نَعُود به؛ إذ نحن نَكرُم عن ذلك، ونرى أنْ نكرمك عند محلك ومنزلتك، وما يتَّصل بها من حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله، وإحسانك لِمَن في يدك من أسرى المسلمين، وعطفك عليهم وتجاوزك في الإحسان إليهم جميع من تَقدَّمك من سلفك، ومَن كان محمودًا في أمره رغب في محبته لأنَّ الخير أهل أنْ يُحَبَّ حيث كان.

فإنْ كنت إنما تُؤهل لمكاتبتك ومماثلتك مَن اتَّسعت مملكته وعظمت دولته وحسنت سِيرته، فهذه ممالك عظيمة واسعة جمَّة وهي أجلُّ الممالك التي ينتفع بها الأنام، وسر الأرض المخصوصة بالشرف، فإنَّ الله قد جمع لنا الشرف كله بالولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءَه - مخصوصين بذلك إلى ما لنا بقديمنا

وحديثنا وموقعنا، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنِّه وإحسانه، ومنه نَرجُو حسن السعي في ما يرضيه بلطفه ولم ينطوِ عنك أمرنا فيما اعتمَدْناه، وإنْ كنت تجري في المكاتبة على رَسْمِ مَن تقدَّمك فإنَّك لو رجعت إلى ديوان بلدك وجدت مَن كان تقدَّمَك قد كاتَب من قبلك مَن لم يحلَّ محلنا ولا أغنى غناءنا، ولا ساس في الأمور سياستنا، ولا قلَّدَه مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ما قلَّدنا، ولا فوَّض إليه ما فوَّض إلينا، وقد كُوتِب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وآخِر مَن كُوتِب تكين مولى أمير المؤمنين ولم يكنْ تقلد سوى مصر وأعمالها.

ونحن نحمد الله كثيرًا أولاً وأخرًا على نِعَمِه التي يَفُوت عندنا عددُها عدَّ العادين ونشرَ الناشرين، ولم نردْ بما ذكرناه المفاخرة، ولكنَّا قصدنا بما عددناه من ذلك حالات: أولها الحديث بنعمة الله علينا، ثم الجواب عمَّا تضمَّنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبة، ولتعلم قدْر ما بسَطَه الله لنا في هذه الممالك، وعندنا قوَّة تامَّة على المكافأة عن جميل فعلك بالأسارى، وشُكر وافٍ لما توليهم وتتوخَّاه من مسرتهم - إن شاء الله تعالى - وبه الثقة.

وفَّقك الله لمواهب خيرات الدُّنيا والآخرة، والتوفيق للسَّداد في الأمور كلها، والتيسير لصلاح القول، والعمل الذي يحبُّه ويرضاه ويثيب عليه، ويرفع في الدنيا والآخرة بمنِّه ورحمته.

وأمَّا الملك الذي ذكرت أنَّه باقٍ على الدهر لأنَّه موهوب لكم من الله خاصَّة، فإنَّ الأرض لله يُورِثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتَّقين.

وإنَّ الملك كله للّه يُؤتِى الملك مَن يشاء وينـزع الملك ممَّن يشاء، ويعـزُّ مَن يشاء ويذلُّ مَن يشاء، بيده الخير وهو على كلِّ شيء قدير، وإنَّ اللّه - عزَّ وجلَّ - نسَخ مُلك الملوك وجبرية الجبارين بنبوَّة محمد - صلَّى اللّه عليه وسلَّم - وعلى آله أجمعين، وشفع نبوَّته بالإمامة وحازَها إلى العِترَة الطاهرة من العُنصر الذي منه أميرُ المؤمنين - أطال اللّه بقاءه - والشجرة التي منها غصنه، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر يلقيها ماضٍ إلى غابر، حتى نجز أمر اللّه ووعده وبهر نوره وكلمته، وأظهر حجته وأضاء عمود الدين بالأئمَّة المهتدين، وقطَع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كَرِهَ المشركون، حتى يَرِثَ اللّه الأرض ومَن عليها وإليه يرجعون، وإنَّ أحقَّ ملك أنْ يكون من عند اللّه وأولاه وأخلفه أنْ يكنفه اللّه بحراسته وحِياطته، ويحفه بعزِّه وأَيْدِه، ويجلله السكنية في بهجة الكرام، ويجعله بالبقاء والنجاة ما لاح فجر وكر دهر، ملك إمامة عادلة، خلفت نبوَّة فجرت على رسمها وسنَّتها، وارتسمت أمرها وأقامت شرائعها ودعت إلى سبلها، مستنصرة بأيدها، منتجزة لوعدها، وإنَّ يومًا واحدًا من إمامةٍ عادلة خيرٌ عند اللّه من عمر الدُّنيا تملكًا وجبريَّة.

ونحن نسأَلُ اللّه - تعالى - أنْ يديم نِعَمَه علينا وإحسانه إلينا بشرف الولاية، ثم لحسن العاقبة بما وفَّر علينا فخره وعلاه بحمده وإحسانه، إنْ شاء اللّه وبه الثقة، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

وأمَّا الفداء ورأيك في تخليص الأسرى فإنَّا وإنْ كنَّا واثقين لِمَن في أيديكم بإحدى الحسنيَيْن، وعلى بيِّنةٍ لهم من أمرهم وبيان من حُسن

العاقبة وعظم المثوبة، عالمين بما لهم، فإنَّ فيهم مَن يُؤثِر مكانه من ضَنك الأسْر وشدَّة البأساء على نعيم الدنيا ولذَّتها؛ سكونًا إلى ما يتحقَّقه من حُسن المنقلب وجزيل الثواب، ويعلم أنَّ الله قد أعاذَه من أنْ يفتنه ولم يعذه من أنْ يبتليه، وقد تبيَّنَّا في ذلك مع هذا الباب ما شرعه لنا الأئمَّة الماضون والسَّلَفُ الصالحون، فوجدناه ذلك موافقًا لما التمسته وغير خارج عمَّا أحببته فسررنا بما يتيسَّر منه، وبعثنا الكتب والرسل إلى عُمَّالنا في سائر أعمالنا، وعزمنا عليهم في جمع كلِّ مَن قبلهم وأتباعهم بما وفر الإيمان بإنقاذهم، وبذلنا في ذلك كلَّ ممكن، وأخَّرنا إجابتك عن كتابك ليتقدَّم فعلنا قولنا، وانحيازنا وعدنا، ويوشك أنْ يكون قد ظهَر لك من ذلك ما وقَع أحسن الموقع منك - إن شاء الله.

وأمَّا ما ابتدأتنا به من المواصلة واستشعرتَه لنا من المودَّة والمحبَّة، فإنَّ عندنا من مُقابَلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب، وتقضيه نسبة الشرق الذي يؤلفنا على تبايُن النِّحَل، فإنَّ ذلك من الأسباب التي تخصُّنا، وإياك ورأينا من تحقيق جميل ظنِّك بنا إيناس رسلك وبسطهم، والاستماع منهم والإصغاء إليهم، والإقبال عليهم وتلقينا انبساطك إلينا وإلطافك إيَّانا بالقبول الذي يحقُّ علينا؛ ليقع ذلك موقعه، وزدنا في توكيد ما اعتمدته ممَّا حملناه رسلك في هذا الوقت على استِقلالنا إيَّاه من طَرائِف بلدنا ما يطرَأُ من البلاد علينا، وإنَّ الله بعَدلِه وحِكمته أودع كلَّ قريةٍ صِنْفًا ليتشوَّف إليه مَن بعد عنه، فيكون ذلك سببًا لعمارة الدنيا ومعائش أهلها، ونحن نُفرِدك بما سلمناه إلى رسولك لتقف عليه - إن شاء الله.

وأمَّا ما أنفذته للتجارة فقد أمسَكْنا أصحابك منه، وأذنَّا لهم في البيع وفي اتِّباع ما أرادوه واختاروه؛ لأنَّا وجدنا جميعه ممَّا لا يحظره علينا دينٌ ولا سياسة، وعندنا من بسطك وبسط مَن يرد من جهتك، والحرص على عمارة ما بدأتنا به رعايته، وربَّ ما غرسته أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك، والله يعين على ما ننويه من جميل ونعتقده من خير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومَن ابتدأ بالجميل لزمه الجري عليه والزيادة، ولا سيَّما إذا كان من أهله وخليقًا به قد ابتدأنا بالمؤانسة والمباسطة، وأنت حقيقٌ بعمارة ما بيننا واعتمادنا بحوائجك وعوارفك قبلنا، فأبشِر بتيسير ذلك - إنْ شاء الله.

والحمد لله أحق ما ابتدئ به وختم بذكره، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد نبيِّ الهدى والرحمة، وعلى آله وسلَّم تسليمًا".

ولإعجاب إبراهيم بن عبدالله النجيرمي بما عمله في هذا الكتاب نسَخ منه نسخًا وأنفَذَها إلى البصرة وأعمالها يفتَخِر بها.